روائع المسرح العالمي

٣٧

سيجفريد

تأليف جان جيرودو

ترجمة الدكتور كمال فريد

مراجعة وتقديم الدكتور محمد مندور

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

سيجفريد وجيرودو

بقلم الدكتور محمد مندور

أما سيجفريد الذى أطلق اسمه جان جيرودو على بطل هذه المسرحية فله تاريخ طويل فى الأساطير والآداب الشمالية وبخاصة الألمانية منها ، فهو فى الأسطورة الشعبية بطل قتل عددا من الوحوش الخرافية التى تعرف فى الأساطير باسم التنين ، واستحم فى دمها وبذلك تحصن جسمه ضد الاصابة بالرماح أو السهام وان يكن قد ظل فى جسمه جزء عند صفحة كتفه لم يبلل بالدم ، فظل البطل معرضا للاصابة فيه شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من أبطال الأساطير الشعبية القديمة وبخاصة بطل الاغريق الأكبر « أخيل » الذى تقول الأسطورة ان أمه الالهة تيتيس قد عمدته فى ماء مقدس بل جسمه كله ، فاكتسب مناعة ضد الاصابة فيما عدا كعبه الذى لم يبتل بهذا الماء لأن أمه كانت تغطيه بكف يدها عندما غمست جسمه الطفل

فى هذا الماء وبذلك أصبح كعبه نقطة الضعف فيه ، ومزا الى أن كل بطل مهما بلغت قوته وشجاعته لابد أن تكون فيه نقطة ضعف يستطاع النفاذ منها اليه واصابته خضوعا لقانون المون الذى لا يستطيع أن يفلت منه أحد حتى أصبح كعب أخيل مضربا للمثل عندما يقول الكتاب ان لكل انسان كعب أخيل ، ومن الممكن أن نقول أيضا ان لكل انسان صفحة كتف سيجفريد بطل الأساطير الشمالية .

وبالفعل تقول اسطورة سيجفريد أنه عندما هزم العمالقة وأخرج فتاة أحلامه من الكهف الذى احتجزوها فيه بل واستولى أيضا على كنز « نيبولونجن » الذى كانوا يخفونه فى الجبل جنح الى الحكمة فلم يحتفظ الا بالفتاة وأما الكنز فرده الى مكانه لأن النبوءة كانت تقول بأن من يستولى على هذا الكنز لن يعيش أكثر من ثمانية أعوام . ولما كان سيجفريد يعلم بموضع ضعفه ويخشى النفاذ منه الى حياته ، فقد فضل أن يعيد الكنز الى مكانه مكتفيا بالفوز بفتاة أحلامه ، وبذلك جمع سيجفريد بين الشجاعة والحكمة ، وان يكن الأدباء والفنانون وبخاصة الألمانيون منهم قد غلبوا أحد الجانبين على الآخر عبر القرون طبقا لتغير الروح العامة للشعب الجرمانى حتى أصيب سيجفريد بالوهن والضعف أحيانا ، تغليبا للحكمة على الشجاعة الى أن

رد اليه الموسيقى الألمانى الكبير « ڤاجنر » جلاله باللفظ والنغم فى الأوپرا الشهيرة التى تحمل اسمه والتى جعلت من سيجفريد رمزا للبطولة الجرمانية الخالدة . ومن المؤكد أن هذه الأوپرا هى التى أشاعت اسم سيجفريد فى العالم كله أكثر مما أشاعته الملاحم الشعبيه القديمة بحيث لم يكن غريبا أن يختاره چان چيرودو بطلا لقصته التى كتبها فى سنة ١٩٢٢ باسم « سيجفريد ومقاطعة ليموزان » . ثم عاد فركز هذه القصة فى هذه المسرحية التى أغراه المخرج والممثل الفرنسى الكبير « چوفيه » بكتابتها للمسرح ثم قدمها چوفيه للجمهـــور الفرنسى عـلى مسرح الشانزليزيه سنة ١٩٢٨ فلاقت نجاحا كبيرا شجع چان چيرودو على الاستمرار فى كتابة المسرحيات بعد أن كان انتاجه الأدبى قاصرا على الفن القصصى ؛ وبالفعل ظل چان چيرودو يكتب للمسرح منذ ذلك التاريخ حتى توفى فى ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ ، بل وترك بعد موته مسرحيتين أخريين عرضت احداهما بباريس سنة ١٩٤٥ والأخرى سنة ١٩٥٣ .

ومع كل ذلك فان سيجفريد بطل هذه المسرحية لا علاقة له بالبطل الأسطورى الڤجنرى ؛ بل هو رجل عادى كان فى الأصل جنديا فرنسيا اشترك فى الحرب العالمية الأولى وأصيب فيها اصابة أفقدته الذاكرة فنقله الألمان الى احدى المستشفيات

وأخفوا عنه جنسيته وعالجوا جرحه ثم علموه الألمانية من جديد وأطلقوا عليه اسم بطلهم الأسطورى سيجفريد ؛ بينما كان اسمه الفرنسى چاك فورستييه من مقاطعة ليموزان التى تقع فى وسط فرنسا ، وكان عمله فى فرنسا الكتابة كأديب ، واذا به يصبح فى ألمانيا رجل دولة وينتهى به الأمر الى أن يصبح مستشارا لألمانيا أى رئيسا لها يستحوذ على ثقة الشعب ومحبته بفضل حكمته واعتداله وبعده عن العنف . وهذه كلها صفات ربما لازمته بفضل أصله الفرنسى فيما يوحى المؤلف . وتثير شعبيته غيرة الرجل الذى مهد له طريق المجد فى ألمانيا واسمه « زلتين » فيسعى الى التخلص منه بأن يستقدم من فرنسا سيدة فنانة فى النحت كانت عشيقة فورستييه قبل أن يختفى فى الحرب ويضيع أثره ، وذلك لكى توقظ فى نفسه ذكرياته الفرنسية وتعيد اليه وعيه بماضيه حتى يعود الى فرنسا بعد أن تنكشف للشعب الألمانى حقيقته التى يلوح أن زلتين كان هو والسيدة ايفا الوحيدين العالمين بها ، وتأخذ هذه الحيلة فى النجاح بينما زلتين يدبر ثورة يستولى بها على الحكم ، ولكن الثورة تفشل ويقبض على زلتين ، ويصدر ضده حكم عسكرى بالاعدام . غير أن المستشار سيجفريد الحكيم المتزن يعدل الحكم الى النفى وعندئذ يكشف زلتين نفسه عن حقيقة سيجفريد ويعزز

محاولات جنفياف عشيقة فورستييه الفرنسية فى الكشف عن حقيقة سيجفريد . وتنتهى المسرحية بتفضيل سيجفريد العودة الى وطنه الأم فرنسا مع جنفياف رغم معارضة الشعب الألمانى وقواده العسكريين وتمسكهم به .

هذه هى أحداث المسرحية الخيالية ولكن مضمونها وأهدافها تتعدى بكثير هذا الهيكل لأنها من حيث موضوعها تلخص مفهوم هذا الكاتب الكبير للثقافة والحضارة والمزاج الفرنسى من جهة ، ومثيلاتها الألمانية من جهة أخرى . ومع ذلك فان الحدود التى تفصل بين البلدين ليست الا خطا وهميا أو ما يسميه جيرودو خطا مثاليا لا ينبغى أن يقوم حاجزا بين البلدين رمزا للعداوة . فالمسرحية كلها تسعى الى الايحاء بأنه وان اختلف الشعبان الفرنسى والألمانى فى الثقافة والحضارة والمزاج — الا أن هذا الاختلاف لا ينبغى أن يكون اختلاف عداوة وتعارض ، بل اختلاف التقاء وتكامل . فنراه يتمنى مثلا أن لو شاع فى فرنسا مزيد من روح الشعر وشاع فى ألمانيا مزيد من ضوء العقل باعتبار أن الروح الشعرية ربما كانت أقوى وأعمق فى ألمانيا بينما يمتاز الفرنسيون بضوء العقل الكاشف المتزن فيما يرى المؤلف . فالمسرحية من هذه الناحية تعتبر حمامة سلام بين الدولتين فضلا عن أنها تعالج حيرة انسان حساس

ممتاز بين حاضره المجيد فى ألمانيا وماضيه اللاصق بشغاف قلبه فى فرنسا ، وان انتهت باعلان چنشياف أنها تحب فى الرجل فورستييه الفرنسى وسيجفريد الألمانى معا .

والواقع أن جان چيرودو قد شغلته طوال حياته مشكلة العلاقة بين وطنه فرنسا وألمانيا ، وقد اتخذ من قصة سيجفريد رمزا لهذه العلاقة ، حتى رأيناه يواصل الكتابة عن سيجفريد طوال حياته بعد أن تصور قصته لأول مرة فى سنة ١٩٣٢ . ففى سنة ١٩٣٤ وبعد مرور ست سنوات على عرض هذه المسرحية كتب چيرودو لها ملحقا سماه « نهاية سيجفريد » وعندما أعيد طبع هذه المسرحية فى سنة ١٩٣٨ نراه يغير بالفعل خاتمتها ويجعل سيجفريد يموت برصاصة من الجنرالات الألمان وكأنه بذلك قد استأنف حياته الأولى ، حياة چاك فورستييه ومات فى معركة بينه كفرنسى وبين الألمان . كما نرى چيرودو يعود فيكتب سلسلة من المقالات فى مجلة « أخبار الأدب » الشهيرة يراجع فيها اتجاهه الأول بعد أن أخذت الأيام تثبت خطأ تفاؤله فى امكان التقارب بين الشعبين وتجنب الحرب بينهما . ولسوء حظ چيرودو ظل حيا حتى شهد الألمان يغزون وطنه من جديد ويحتلونه أيام هتلر فى الحرب العالمية الثانية ، كما شهد الشعب الفرنسى يخوض معركته الخالدة معركة التحرير ، لأنه لم يمت كما قلنا الا فى ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ .

حياة جيرودو وإنتاجه الأدبى

فمن هو اذن جان جيرودو هـذا وما هى حياته وانتاجه الأدبى والظروف التى جعلته يقف هذا الموقف السلامى أول الأمر بالنسبة للعداوة المتأصلة بين الشعبين الفرنسى والألمانى ؟

أما عن حياته فقد ولد فى مدينة بيلاك فى مقاطعة ڤيينا العليا بفرنسا فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٢ ، وكان أبوه من معلمى التعليم العام الالزامى . وقد أحب الثقافة الألمانية منذ دراسته الثانوية بفضل أستاذه شارل أدلر ثم تعمق هذه الثقافة فى مدرسة المعلمين العليا التى قضى فيها عامى ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ . وبعد فراغه من الدراسة الجامعية فى السربون قام بتدريس اللغة الفرنسية فى ألمانيا بعض الوقت حيث ازداد علما وتعلقا بالثقافة الألمانية . وعندما عاد الى فرنسا فى ١٩٠٧ عمل سكرتيرا لمدير جريدة « الماتان » أى « الصباح » الفرنسية حيث أخذ ينشر سلسلة من المقالات الأدبية والقصص الصغيرة كما أشرف على صفحة الأدب فى هذه الجريدة الفرنسية الكبيرة . وتعرف فى تلك الأثناء بناشر أدبه الشهير « جراسيه » الذى نشر له سنة ١٩٠٩ أول مجموعة باسم الريفيات ، ثم تقدم جان جيرودو الى مسابقة السلك السياسى سنة ١٩١٠ ونجح فى تلك المسابقة فظل يعمل بوزارة الخارجية الفرنسية منذ تلك السنة حتى

سنة ١٩٤٠ ، وان لم يرسل قط الى الخارج للعمل فى أية سفارة فرنسية أو لتولى منصب سفير . وربما كان هذا الاجحاف من العوامل التى دفعته الى أن ينعزل بفكره واحساسه عن واقع الحياة ليخلق بخياله عالما خاصا به وان لم يمنعه ذلك من أداء ضريبة الدم فى سبيل الدفاع عن وطنه ؛ فقد اشترك فى الحرب العالمية الأولى وجرح فيها مرتين وخرج منها بذكريات أوحت اليه بكتابين كبيرين يجمعان بين الخواطر والأقاصيص ، أصدر أحدهما سنة ١٩١٧ باسم « مطالعات موجهة الى شبح » وأصدر ثانيهما سنة ١٩٢٠ باسم « كليو المعبودة » وكليو هذه هى ربة المجد فى الأساطير اليونانية القديمة ، وهى ربة يسخر منها جيرودو لأنها قد تحسب المجد فيما لا مجد فيه ؛ كمجد الحروب وسفك الدماء . وعاد جيرودو الى العمل فى وزارة الخارجية الفرنسية حيث تولى الاشراف على ادارة المشروعات الفرنسية فى الخارج ثم ادارة الصحافة فيها . وقد أتاح له هذا العمل الروتينى فرصة التفرغ للأدب والاكباب على انتاجه حتى أصبح رغم موته فى الثانية والستين من عمره — من الكتاب الغزيرى الانتاج ، وبخاصة وأنه قد تميز بالسرعة فى هذا الانتاج حتى قيل انه كتب فى سنة ١٩٢٢ قصته الكبيرة عن « سيجفريد ومقاطعة ليموزان » فى ظرف شهر واحد بعد أن سبقها بانتاج

قصة « سوزان ورجل السلام » سنة ١٩٢١ ثم تلاها بقصة « چولييت فى بلاد الرجال » سنة ١٩٢٤ ثم قصة « بللا » سنة ١٩٢٦ وقصة « سيمون » سنة ١٩٢٦ فضلا عن عدد كبير من القصص الصغيرة . وبعد أن تعرف بلويس چوڤيه سنة ١٩٢٨ انتقل من كتابة القصص الى كتابة المسرحيات وان لم يغير فلسفته فى الحياة وفى الفن ، فقصصه كانت خالية تقريبا من الأحداث ، وشخصياته كانت أشباحا رشيقة وانعكاسات لنفسه واختباراته وأحلامه واحتجاجاته مما عرض هـذه القصص لمناقشات حامية ، حيث نرى بعض النقاد لا يرون فيها الا مهارة عقلية ولعبا ، بأسلوب ميتافيزيقى يعبر عن ارادة الكاتب فى خلق عالم خاص به لا يخضع الا للفن والهوى الذاتى . وكذلك الأمر فى مسرحياته التى يغلب عليها بساطة الأحداث ، وبعدها عن الواقع وصدورها عن تفيقه خيالى ينقل به المسرح احتقاره للواقع اليومى وحلمه بعالم مسحور ، وعدم انتمائه لأى مذهب أو اتجاه فكرى أو فنى من المذاهب والاتجاهات التى كانت تتصارع فى وطنه خلال حياته كلها . وكذلك الأمر فى موقفه السياسى ، فقد ظل طوال حياته يرفض أن ينتمى الى اليمين أو الى اليسار رغم محاولة كافة الأحزاب جذبه اليها ، وذلك لحرصه الدائم على الارتفاع عن الواقع ومحاولته خلق عالم

خاص به . وقد كان هو نفسه يظن دائما أن ثقافته قد عزلته عن الواقع وعن الشعب وان لم يمنعه ذلك عن الاشتغال بقضايا وطنه الكبرى بل وبقضايا الانسانية كلها فى عصره ؛ فهو من كبار كتاب فرنسا المثقفين ومن أكثرهم انغماسا فى القضايا الروحية والأخلاقية وأسلوبه من أغنى الأساليب الفرنسية وأغزرها ، وأشدها عمقا وشاعرية ، تمازجها روح ساخرة مرهفة هى وحدها التى تميزه عن كاتب فرنسى آخر يندرج تحت نفس الصفات المميزة وهو پول كلوديل الذى يجمع بينه كبار النقاد الفرنسيين ، وبين جيرودو عند التأريخ لاتجاهات الأدب الفرنسى المعاصر .

مسرح جان جيرودو

ومنذ أن عرضت مسرحية « سيجفريد » هذه لجان جيرودو على مسرح الشانزليزيه ؛ ولاقت نجاحا كبيرا بين عامة المثقفين ، أخذ جيرودو كما قلنا ينتج تباعا للمسرح حتى بلغه انتاجه فى هذا الفن ستة عشر مجلدا فى الطبعة التى صدرت بعد وفاته بين عامى ١٩٤٥ ؛ ١٩٥٣ فى دار « ايد وكلاند » فقد قدمت له كوميديا « أمفتريون رقم ٣٨ » سنة ١٩٢٩ و « يوديت » سنة ١٩٣١ و « أنترمتزو » سنة ١٩٣٣ و « تسا » سنة ١٩٣٤ ،

و « حرب طرواده لن تقوم » سنة ١٩٣٥ ، و « ملحق لرحلة كوك » سنة ١٩٣٥ و « الكنرا » سنة ١٩٣٧ ، و « ارتجالية باريس » سنة ١٩٣٧ و « نشيد الأناشيد » سنة ١٩٣٨ ، و « أوندين » سنة ١٩٣٩ ، و « أبللون المرساكى » سنة ١٩٤٢ و « سدوم وعمورة » سنة ١٩٤٣ ، كما قدمت له بعد وفاته مسرحية « مجنونة شايوه » فى سنة ١٩٤٥ . ومسرحية « من أجل لوكريس » سنة ١٩٥٣ .

والطابع العام لمسرح جيرودو هو الطابع الثقافى الذهنى لأنه يستمد قوته من غزارة حواره وطابعه الخيالى المحلق الذى يهيم فى عالم مسحور من تصور خيال الكاتب ، حتى نرى الباحثين فى ظاهرة التفيقه أو الحذلقة — يدخلون جيرودو فيما يسمونه بالحذلقة الخيالية ، وان لم يروا فى ذلك عيبا بل رأوا ميزة فريدة تجعل من أدبه عامة ومسرحه خاصة متعة للخاصة من المثقفين الذين يروعهم هذا الخيال وتغذيهم الثقافة الواسعة التى تشع فى الحوار اشعاعا يخطف العقول وان أتخمها أحيانا . وهناك رأى يجنح الى الاعتقاد بأن أروع مسرحيات جان جيرودو قد كانت « أوندين » التى عرضت على الجمهور سنة ١٩٣٩ وهى مسرحية أسطورية الموضوع لأنها تعرض أسطورة « أوندين » أى « حورية البحار » التى نجح البطل

« هانس » فى كسب قلبها فقبلت الزواج منه بشرط الخضوع لقانون اله الحوريات الذى يقضى بموت أى انسان يخون احدى الحوريات بعد الفوز بقلبها والزواج منها . ونرى هانس بعد عودته مع أوندين الى قصره يحن قلبه الى خطيبته الانسية الأولى وبذلك يخون أوندين بقلبه ، ويحق عليه الموت ، ولكن أوندين تترفق به وتخفى حقيقة هذه الخيانة على اله الحوريات حتى لا يموت هانس . ومن خلال هذه الأسطورة استطاع جيرودو أن ينفذ الى النفس البشرية ليحلل مشاعرها أعمق تحليل وأكثره اشراقا بأسلوب شاعرى رائع الجمال .

مسرحية سيجفريد

ومع ذلك فاننى لا أعتقد أن مسرحية « سيجفريد » التى أقدم لها الآن أقل غنى وجمالا من مسرحية « أوندين » ، كما أعتقد أن شخصية سيجفريد الخيالية التى لازمت جيرودو طوال حياته قد تركزت حولها معظم آراء جيرودو المرهفة فى الثقافة والفن والانسان والوطن على السواء .

فهذه المسرحية تعتبر تركيزا قويا لعمل جيرودو الأدبى البكر . وهو قصته التى كتبها فى سنة ١٩٢٢ فى أعقاب الحرب العالمية الأولى التى اشترك فيها وجرح مرتين باسم

« سيجفريد ومقاطعة ليموزان » ودرس فيها قضية العداوة التى لا مبرر لها بين فرنسا وألمانيا فى حين أن ثقافتيهما يمكن أن تكمل احداهما الأخرى . وقد نقى هذه المسرحية التى استخلصها سنة ١٩٢٨ من قصته الكبرى — من جميع الاستطرادات والتفصيلات الكثيرة التى زخرت بها قصته حتى لاحت كالأدغال التى يضل فيها القارىء ، فضلا عن أنه غيّر وبدّل وأضاف فى الشخصيات الأساسية فى المسرحية . ففى القصة جعل الشخص الذى يُستدعى الى ألمانيا لتحريك ذكريات سيجفريد ومحاولة ايقاظ ذاكرته شخص اسمه جان كان صديقا لجاك فورستبيه فى فرنسا ، وأما فى المسرحية فالذى يقوم بهذا الدور هو السيدة النحاتة جنفياف التى كانت عشيقة جاك فورستبيه فى فرنسا والتى تعتبر بحكم مخالطتها الحميمة له أقدر على تحريك ذكرياته وبعث ذاكرته بفضل فتات الحياة الأليفة التى عاشاها معا قبل انفصالهما ثم اختفاء فورستبيه فى الحرب . وان يكن المؤلف قد جعل شخصا آخر سماه روبينو يصاحب جنفياف فى رحلتها الى ألمانيا ، وجعل منه فقيها فى اللغة واللهجات .

والنص المترجم الى العربية فى هذا الكتاب هو النص الأصلى الذى كتبه جيرودو سنة ١٩٢٨ كما ورد فى مجلة

« لابيتيت ايلستراسيون » فى عدد أغسطس سنة ١٩٢٨ .
ويخيل الينا أن هذا النص أفضل من النص المعدل الذى نشره المؤلف فى طبعة جديدة لمسرحيته سنة ١٩٣٨ لأن خاتمة مسرحيته سنة ١٩٢٨ أكثر جمالا وفتنة وانسانية من خاتمة مسرحيته سنة ١٩٣٨ وان بدا أن هذه الخاتمة الأخيرة ربما كانت أكثر تمشيا مع وجهة النظر التى انتهى اليها جيرودو بعد أن خاب أمله فى المصالحة بين الشعبين الفرنسى والألمانى اذ أنها تجعل سيجفريد كما سبق أن قلنا — يموت برصاصات الجنرالات الألمان وكأنه بذلك يستأنف الحرب كفرنسى ضد الألمان ولو راح ضحية لرصاصهم .

ومع ذلك فأنا أعتقد أن الخاتمة الأولى كانت أقوى لا من الناحية الانسانية فحسب ، بل ومن الناحية الوطنية أيضا ، حيث فضل سيجفريد أن يعود الى وطنه الأول مهد شبابه وذكرياته الأليفة كرجل فرنسى عادى ، على أن يواصل الحياة فى وطن آخر حتى ولو وصل فى هذا الوطن الآخر الى قمة المجد والمحبة الشعبية بل ورياسة الدولة ، فضلا عن أن العبارات الأخيرة فى النص الأول تحمل معنى انسانيا ساميا وهو معنى المحبة والأخوة الذى توحى به ألفاظ جنفياف الأخيرة عندما تعلن أنها تجمع بين فورستييه وسيجفريد فى حبها الرائع .

محمد مندور

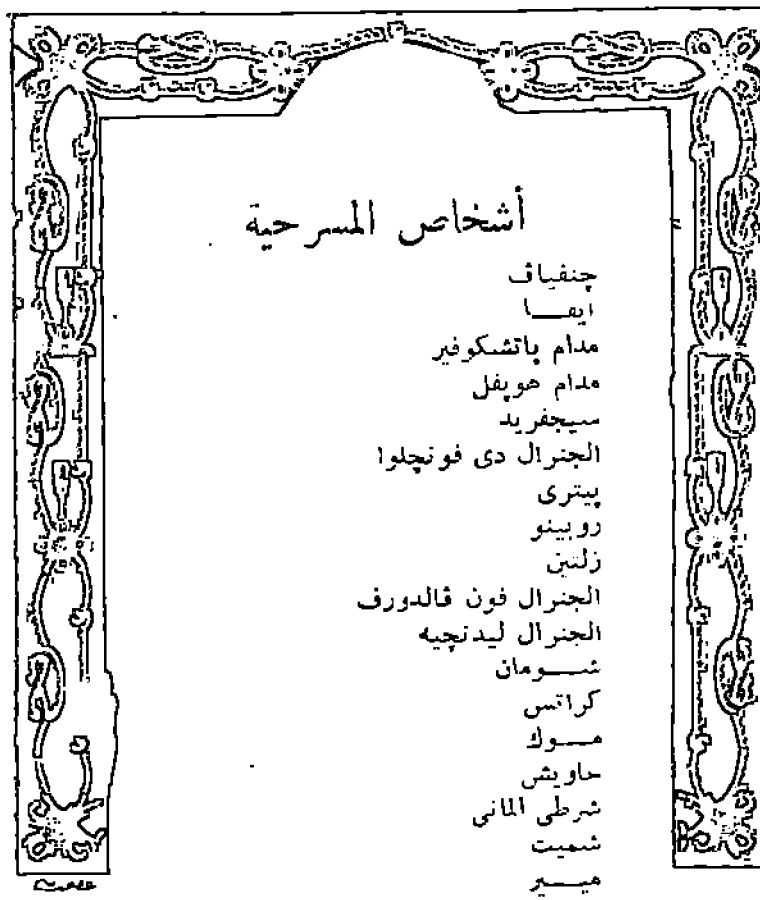

أشخاص المسرحية

چنفياف
ايفـــا
مدام پاتشكوفير
مدام هوپفل
سيجفريد
الجنرال دى فونچلوا
پيترى
روبينو
زلتين
الجنرال فون ڤالدورف
الجنرال ليدنچيه
شـــومان
كراتس
مـــوك
حاويش
شرطى المانى
شميت
ميـــير

مثلت هذه المسرحية لأول مرة
على مسرح الشـــانزليزيه بباريس
فى ٣ مايو سنة ١٩٢٨

الفصل الأول

يمثل المنظر مكتب انتظار فخما حديثا مطلا على مدينة « جوتا » المغطاة بالثلوج التى تختفى أحراسها وقبابها فى سماء ملبدة بالغيوم . والى يمين الخليج نشاهد سلما حلزونيا من الرخام الأبيض تخفيه الجدران .

المشهد الأول

ايڤا ـ موك ـ الحاجب ـ خادم

(ايڤا جالسة تكتب على مائدة)

موك : (يدخل معلنا) الجنرال لودندورف !

ايڤا : لا أرغب فى مقابلته الآن وليأت فى التاسعة من مساء اليوم .

موك : صاحب السعادة الرئيس راتونو !

ايڤا : فى التاسعة من هذا المساء أيضا .. أنت تعرف جيدا أن بعد ظهر اليوم مخصص للسيد سيجفريد .

موك : (مخاطبا الخادم) النجاح ليس حليفى .. أعلن أنت ذويك!

الخادم : السيد ميير ! ..

ايفا : حسنا . سنستقبله السيد المستشار سيجفريد بعد قليل .

الخادم : السيد كراتس ! السيدة شميت !

ايفا : حسنا جدا . وصلا فى الموعد المحدد . سيقابلهم جميعا السيد سيجفريد .

موك : انه الخطأ الذى ..

ايفا : ومن سألك عن رأيك ؟

موك : يسبب السيد سيجفريد لنفسه اضطرابا عديم الجدوى . (لا تجيب ايفا بل تكتب . أما موك فيتحدث الى الخادم) . لقد نظرت خفية الى أولئك الأقرباء المدعين الذين أتوا من أركان ألمانيا الأربع لكى يتعرفوا فيه على أحد أبنائهم الذى فقد فى الحرب . ولا أحد يشبهه .

الخادم : آه ؟

موك : هل تزعم ان الشبه كالأمراض التى قد تتخطى أحد الأجيال ؟

الخادم : نعم ، أظن ذلك .

موك : نظرت الى صور ابنهم التى قدموها لى عند الباب

كجواز دخول فوجدته فى احداها يضع نظارات على عينيه وفى أخرى رأيت فى شفته العليا شبه شق . وليس فيها ما يشبه السيد سيجفريد .

الخادم : ربما لأنك لا تعرف ملاحظة أوجه الشبه ؟

موك : بالعكس فاننى قلما أخطىء العثور على شبه ما للسيد سيجفريد وهو بملابسه العادية فى المتاحف والمسارح واللوحات والتماثيل والأشخاص الذين يرتدون الملابس القديمة أو العراة وفى الاسكندر الأكبر و « لوهنجرين » .. أما هؤلاء فلا أجد أى وجه للشبه بينه وبينهم .. أتعرف لوهنجرين ؟

الخادم : (وهو متردد) ليس جيدا . لقد لمحته .

ايفا : (مقاطعة حديثهما) هل كل شىء معد للمقابلة ؟

موك : تمّ اصلاح الثريا .. ووضعت مصابيح جديدة ..

ايفا : هل ارتدى السيد سيجفريد ملابسه ؟

موك : انه يلبس . (موجها حديثه الى الخادم) انه متردد فى ازالة شاربه كما عمل آخر مرة . لقد تركته أمام مرآته وكأنى به يتساءل عما يجب ارتداؤه ليكون أكثر شبها ومطابقة للملامح

صباه . وذلك يستلزم وقتا أطول من اختيار سترته .

ايفا : أدخل البارون دى زلتين .

موك : (مندهشا) لم أعلن عن مقدم البارون دى زلتين !

ايفا : وهذا ما ألومك عليه . لماذا سمحت له بالدخول رغم تنبيهى عليك ؟ ولماذا تسمح له بالاختلاط بزوارنا والتحدث معهم ؟

موك : اعتقدت أن ذلك يرضيك ، فهو ابن خالتك .

ايفا : حينما يوجد زلتين تروج الاشاعات الضارة . فهو رجل كثير التردد على المقاهى والأروقة وحمامات السباحة . ويقال انه يرشو الشرطة وأنهم كانوا مدعوين عنده مساء أمس .

موك : هذا غير صحيح . فقد أعطاهم تذاكر للمسرح ليشاهدوا مسرحية « سالوميه » وزى حرس هيرودس .

ايفا : اذهب .. انى أنتظره .

(تصرف الخادم الآخر) .

المشهد الثانى

ايڤا ـ البارون فون زلتين

ايڤا : علام تبحث هنا يا زلتين ؟

زلتين : أرى أنك تحرسين ربيبك جيدا . هل عاد من البرلمان ؟

ايڤا : هل أنت معنا أم ضدنا يا زلتين ؟

زلتين : يبدو لى من تألق وجهك يا ابنة الخالة واحمرار وجنتيك أيتها الألمانية الجميلة ، أنه أحاطك علما بعد عودته بنجاحه فى كسب موافقة نوابنا على دستور هزيل كهذا ، وفى تألق جمالك ما يجعلنى أقل حزما نحوك .

ايڤا : يطيب لكل ألمانية أن ترى ألمانيا بعد سنوات ثلاث قضتها متصفة بالضياع وقد تغيرت تلك الصفة بعكسها .

زلتين : ان الصفات العكسية يسهل استبدالها بغيرها يا ابنة الخالة ، خاصة عندما تنطبق على كلمة ألمانيا . هل تريدين أن تتحدثى معى ؟

ايڤا : لماذا صوّت منذ لحظة ضد مشروع سيجفريد ؟

زلتين : مشروع سيجفريد ! يبدو اننى صوّت ضد

آل « ولكيرى » والاسطورة الألمانية كلها !
أما عن عثورك على جندى عار من الثياب فاقد الوعى آويته فى مستشفاك منذ سبع سنوات وسميته سيجفريد ذلك الذى لم يستطع حتى اليوم رغم احترافه السياسة وانتصاراته أن يستعيد ذاكرته أو يذكر اسمه الحقيقى فكل ما يقوله أو يعمله يحظى بالنفوذ المرتبط باسم ولى أمره ! .. من أدراك أن سيجفريد هذا لم يكن اسمه « مبير » قبل اصابته بجروح وانتى بكل بساطة لم أصوّت الا ضد مشروع مبير ؟

ايفا : أكل هذا هو ما جئت لتقوله فى منزله ؟

زلتين : (وقد غيّر موضوع الحديث) : ان آخر مرة رأيتك فيها يا ايفا كانت منذ ست سنوات ، كنت تعلمين هذا الطفل الكبير فى معهد اعادة التثقيف أبسط الكلمات مثل كلب ، قط ، قهوة باللبن . أما اليوم فمنه تتعلمين نطق الكلمات العذبة دستور ، مذهب الأحرار ، تعدد الأصوات ، وتستعذبين منه هذا القول . أليس كذلك ؟

ايفا : نعم أستعذب كلمة ألمانيا .

زلتين : ألمانيا سيجفريد ! انى أراها نموذجا للنظام الاجتماعى بالغاء الممالك الثلاثين الصغيرة والاقطاعيات والمدن الحرة التى كانت تصدر منها نغمات متضاربة فى أرض الثقافة والحرية . ذلك النظام الذى يقسمها الى أقاليم متساوية يكون همها الوحيد الميزانيات والتأمينات والرواتب . وبايجاز يجعل منها أمة نظريا على غراره ولكن دون ذاكرة أو ماض . هذا الابن المزعوم الذى ينتمى بالوراثة الى محاسب وفقيه قانون وصانع ساعات . ان الزام ألمانيا بدستور تلميذك كالزام تنين سيجفريد الحقيقى بابتلاع ساعة تنبيه لتعريفه بالوقت .

ايفا : بفضل سيجفريد ، سنصبح ألمانيا قوية .

زلتين : ليست ألمانيا فى حاجة الى أن تصبح قوية بل يجب أن تظل ألمانيا كما كانت من قبل أى قوية فى غير الحسّى ، عملاقة فى غير المرئى . ليست تقوية ألمانيا مشروعا اجتماعيا وانسانيا وانما يتطلب براعة شاعرية خارقة . ففى كل مرة أراد الألمانى أن يجعل منها بناء حيا ، هوى بناؤه بعد

بضع سنوات .. مع أنه فى كل مرة آمن فيها بموهبة بلده فى تحويل كل فكرة كبيرة أو بطولة خارقة الى رمز أو أسطورة شيّد عملا خالدا .

ايفا : لقد انتهى هذا الخلود ..

زلتين : انتهى يا ايفا ! بدلا من أن تنزهى سيجفريد فى المدن النموذجية ، اصحبيه الى هناك حيث تقوم سلاسل الالب الحصينة . اذهبى معه لتترقبى الفجر . فسوف تشاهدين أن ألمانيا الامبراطورية المقدسة لا تزال تعيش فى الهواء الثلجى . فى ذلك الوقت الذى تأخذ فيه المسارب المائية الصغيرة تشق عند المنحدرات سطح الثلج المتجمد فى القنوات ، ولا تقابلين الا الناس والحيوانات التى لم تتغير منذ عهد « جوستاف أدولف » كابن عرس والخيول الرقشاء وسعاة البريد ذوى العربات الصفراء الذين ينفخون فى أبواقهم فتتفتح أمامهم النوافذ تطل منها الخادمات ذوات الخدود والصدور المسطحة . ستشاهدين منظر ألمانيا القديمة التى كانت تتميز بالتآمر والعمل ، بالسلب والقداسة ، محملة فى ذات الوقت بالشعر

والحقيقة حتى انك تتوقعين أن تشاهدى فجأة طفلا سماويا صغيرا عاريا سابحا فى الهواء كما هو الحال فى صور العصور الوسطى أو تقاة يصلون رافعين أكفهم .. ستجدين ألمانيا فى كل هذا .

ايفا : كفى ، ليس لدى وقت أضيعه . ماذا تريد ؟

زلتين : هل أستطيع رؤية سيجفريد ؟

ايفا : لماذا ؟

زلتين : هذا شأنى .

ايفا : لا يمكنك رؤياه .

زلتين : هل يستريح ؟

ايفا : لا تتظاهر بالجهل . أنت تعرف لأى شىء يستعد .

زلتين : أظن أنه يحلق ويضع ياقة منخفضة حول عنقه ويرطب شعره ويتزين استعدادا لهذه الساعة التى ستكسبه — كما يعتقد — عائلة وكأنه يتزين للموت . ألم تضعف المقابلات السابقة عزيمته ؟ ألا يزال لديه أمل ؟

ايفا : انه يأمل ، فلا تغتاظ .

زلتين : وأنت ألديك أمل ؟

ايفا : طبعا .

زلتين : لست صادقة .

ايفا : زلتين !

زلتين : ألا تحزنى يوم أن يحضر أحد الزوار لينتزع تلميذك من هذا الوسط المثالى الذى يعيش فيه ليجعل منه باڤاريا بسيطا أو پروسيا من عـامة الناس ؟ ألم تبحثى عن أب لهذا الألمانى الذى لا أصل له ؟ كل عذارى ألمانيا تعرفن عليه كابنهم الشرعى .. ومن يدرينى أليس من الجائز أنه يلعب هو نفسه لعبة ؟

ايفا : انك لمجنون !

زلتين : ان شعبية سيجفريد ترجع الى غموضه . ان هذا الذى تنظر اليه ألمانيا كمخلصها ويدعى هو أنه يمثلها ولد لها فجأة منذ ست سنوات فى محطة « فرز » دون ذاكرة أو مستندات أو أمتعة . ان الشعوب كالأطفال تعتقد ان عظماء الرجال يأتون الى العالم فى قطار . وفى الحقيقة أن مما يستهوى ألمانيا أن بطلها لم يكن نتيجة علاقة غير مقدسة بين زوجين برجوازيين . فيا للعجب أن يولد رجل القانون كما يموت الشاعر ! ان فقدان الذاكرة.

قد أعطى سيجفريد كل أنواع الماضى ، كل أنواع النبالة وأيضا — وهو الألزم لرجل الدولة — كل دناءة النسب . فليجد عائلة أو ذاكرة ؛ وسيصبح عندئذ ندا لنا .. وأعتقد لأسباب وجيهة ان هذا الوقت ليس ببعيد .

ايفا : ماذا تريد أن تقول ؟

زلتين : ان هذه المدة القصيرة التى انتزعت سيجفريد من حياته الحقيقية ، ربما يتولى عامل مفاجىء اصلاحها ..

ايفا : ماذا تعرف عن سيجفريد ؟ احترس يا زلتين .

موك : (وهو داخل) يا آنستى ، حان موعد الزيارة .

(تصعد ايفا دون اخفاء قلقها) .

ايفا : سأصعد حالا واصطحب أنت السيد دى زلتين .

المشهد الثالث

زلتين — موك

موك : ألا يزال الاستعداد للغد جاريا يا سيدى البارون؟

زلتين : نعم يا موك .

موك : فى أية ساعة ؟

ولتين : قرب المساء والاشارة طلقتا مدفع . انصت يا موك . سيدق الجرس . ستشاهد أجنبيين : فرنسيين . هل تقدر أن تتعرف على الفرنسيين وهما فى رحلة ؟ ..

موك : طبعا من رؤية سترتهما .

ولتين : كن مستعدا لاستقبالهما فحوادث الغد تتوقف عليهما .. هل يضايقك أن تحسن استقبال الفرنسيين ؟

موك : لماذا ؟ كنا فى الخنادق وبين الهجمات ، نثرثر أحيانا مع الفرنسيين . انه من الصعب الكف عن الكلام بعدما يطول الصمت شهورا . لم يكن ضباطنا يتكلمون قط . وكانت عائلاتنا بعيدة .. لم يكن لدينا الا هم .. حسنا ، سأحجبهما عن الأنظار .

ولتين : احترس جيدا . فلينتظرا فى هذه القاعة . ان أحد هذين الفرنسيين امرأة . اخبرنى فورا . وبمجرد أن انتهى من رؤيتهما ، أخبر سيجفريد أن مدرسة كندية تطلب مقابلته . (يدق الجرس) ما هذا الجرس ؟

موك : ينبغى أن أنادى الأهل .. سينزل سيجفريد .

زلتين : الى اللقاء قريبا .

المشهد الرابع

موك ــ الأهل

(يفتح موك البـــاب ، ويدخل الاهل جمع مبرقش ومكتئب) .

موك : السيد شميت مهندس البلدية !

السيد شميت : نعم .

موك : يمكنك أن تعلق قبعتك يا سيدى المهندس .

السيد شميت : أفضل أن أحتفظ بها .. انها قبعة من قبعات ما قبل الحرب .. لقد ارتديت ملابسى الى حد ما كما كنت أفعل من قبل ..

موك : انت وشأنك .. السيدة الثرية هوپفل .

مدام هوپفل : هأنذا .

موك : أتحملين خطاب الدعوة ؟

مدام هوپفل : لقد أبرزته لك مع الصورة الشمسية ..

موك : هذا صحيح . هذا الذى عنده شق فى شفته العليا ؟

(مستدركا) هل هنالك شك فى الشق الذى فى الشفة العليا ؟

السيد شميت : ان نظرى ضعيف يا سيدى القواص . لقد سمحت لنفسى باستصحاب جارى السيد كراتس الصيدلى وقد كان يحب فرانتس كثيرا .

السيد كراتس : (متقدما بخشوع) الأخصائى كراتس .

السيد شميت : كان السيد كراتس يدلله . كان يعمل لفرانتس فى صيدليته الحلوى أكثر مما يصنع الأدوية . أحدها أصبح صنفا معروفا .

السيد كراتس : (وهو ينحنى) سكر التفاح كراتس . لقد أحضرت هذه الربطة للسيد سيجفريد .. ومهما كانت الأحوال .. فلن أعود بها .

هوك : السيدة باتشكوفير .. (تقترب فلاحة) لقد كتبت لك يا مدام باتشكوفير ! كان يبدو لى أنه لم تكن هناك أسباب كافية لسفرك . كنت تقولين فى خطابك أن ابنك قصير وأشقر بينما أن سيجفريد طويل وأسمر .

مدام باتشكوفير : سبق أن رأيت شقراء فى برلين فى عيادة اعادة التثقيف .

السيد شميت : ولكن قامته الطويلة يا سيدتى ؟

مدام باتشكوفير : رأيت أيضا جميع قصار القامة .

موك : حسنا ، حسنا .

مدام بانشكوفر : اذا لم يكن قد تغير لكنا وجدناه ..

موك : السيد ميير .

السيد ميير : أنا هو .. كيف تحدث الأمور يا سيدى القواص ؟

موك : كيف تحدث ؟ اطمئن . بسرعة . ستدخلون من فتحة الباب . وسينزل السيد سيجفريد من هذا السلم وستكون الأنوار ساطعة حتى يستطيع قصيرو البصر أن يقتربوا منه والمتشككون أن يلمسوه . وفى بحر خمس دقائق — اسمح لى أن أقول لك ذلك — ستنصرفون بطريقة تدعو للشفقة شأن غيركم حتى اليوم ، ولكنى أتمنى لك حظا أفضل .

السيد ميير : شكرا .. انى لا أبالغ اذا قلت ان ليس عندى أمل فى التعرف على أرنيست المسكين الذى كان لطيفا للغاية وان كان ترتيبه دائما الأخير فى الفصل فى رجل الدولة الأول فى بلدنا ، على أرنيست الطيب جدا بالرغم من كراهية جميع أساتذته له

فى هذا الذى أصبح فى بضعة شهور بطل ألمانيا ..
هل شعره مجعد ؟

(يدق الجرس على باب الدخول)

موك : ادخلوا يا سيداتى وسادتى .

(يدخل الأصل فى القاعة اليسرى . ويذهب موك ويفتح الباب . فتدخل چنفياف وروبينو ويحييهما باكرام مفرط ويختفى وهو يبتسم ابتسامة الاتفاق) .

المشهد الخامس

چنفياف ـ روبينو

چنفياف : أين نحن أخيرا يا روبينو ؟

روبينو : عند الكيلو ١٢٥٠ من باريس يا چنفياف ، فأين نحن فيما تظنين ؟

چنفياف : يا له من برد ! أظن اننا لسنا فى نيس ! أين نحن ؟

روبينو : (وهو يمسح نظارته وقد أدار ظهره لفتحة الباب وأصبح قريبا من السلم) ترين المدينة بأكملها من هذه النافذة .. انظرى .. سأقوم بشرح كل شىء لك . ماذا ترين ؟

چنفياف : ليست نيس .. انى أرى عن يمينى مبنى به نوافذ مرتفعة للحرس ورايات وجسور متحركة .

روبينو : (فى اتجاه الجمهور وكأنه يناجى نفسه ولكن بصوت عال) انه المتحف الوطنى !

چنقياف : وأرى أمامى معبدا يونانيا فى وسط أشجار الأرز مغطى بالثلوج .

روبينو : انه « الأورفيوم » ! ..

چنقياف : وأرى عن يسارى مبنى مكونا من عشرة طوابق له نافذة كبيرة ذات زجاج ملوّن على شكل وحيد القرن .

روبينو : (وقد زاد عاطفية) انه « البانوپتيكوم » ! ..

چنقياف : وأخيرا أرى على مستوى أكثر انخفاضا ، قصرا فلورنسى التصميم ذا أروقة ونقوش على الجدران .

روبينو : انه قصر « ماكسيمليان » !

چنقياف : انه بلا شك « الماكسيمليانيوم » ؟

روبينو : أجل !

چنقياف : (وهى تتلفت الى الوراء) أين نحن يا روبينو ؟

روبينو : فى جوتا[1] يا چنقياف ، اننا فى جوتا ! فى نفس

---

(١) مدينة المانية يسكنها حوالى ٤٦٠٠ نسمة وتقع فى مقاطعة « رينانيا » .

المدينة التى قابلت فيها زلتين منذ خمسة عشر عاما فى حفل من الحفلات التنكرية . لقد كان متنكرا فى زى زولو وأنا فى زى « ألسبياد » . لا دخل للقومية فى أساس مودتنا .

چنفياف : عما كنت تبحث فى جوتا ؟

دوبينو : ماذا كان يعمل الفرنسيون فى ألمانيا قبل الحرب ؟ فقه اللغة . انى كنت بين وفد الاثنى عشر سربونيا الذى أطلقته فرنسا فى غزوة مظفرة بعد حادث أغادير [1] للهجوم على اللهجات السكسونية . اننى أحد الاثنى عشر فرنسيا الذين وردت أسماؤهم فى كتب تاريخ العصور الوسطى الألمانية . يمكنك أن تبحثى فى تاريخهم الحديث فلن تجدى أسماء اثنى عشر من قوادنا .

چنفياف : وهنا عند من نحن ؟

دوبينو : لست أدرى . ان الناس يحضرون من أمكنة مختلفة .

---

(١) اغادير : ميناء مغربى على المحيط الهادى . أرسلت اليه المانيا بارجة فى سنة ١٩١١ تسببت فى ايجاد سوء تفاهم بينها وبين فرنسا .

(القوم يعبرون مكتئبين ويتبادلون تحيات كئيبة) .

چنفياف : انى خائفة يا روبينو .

روبينو : خائفة ! مم ؟

چنفياف : من وجودى هنا .. لأنى غادرت فجأة مساء أمس شارع « باك » الذى كنت أقيم فيه وحضرت الى هنا .

روبينو : ماذا تخشين ؟ لقد تسلمت من زلتين جوازات سفر كندية . اذا شعرت بأنك موضع شك ، تفوهى بعبارة من عبارات « كوبيك » [1] فمثلا اطلقى على الأوركسترا عبارة « جوقة » وعلى عربة أكل لسكة الحديدية كلمة « عربة قاعة الأكل » . انى أعددت لك قائمة بهذه العبارات الخاصة . هل تشعرين ببرد وترتعدين ؟

چنفياف : لا ترتعد كندية من البرد بل من الخوف يا روبينو .

روبينو : هذا ليس بصحيح ، أنت الشجاعة ذاتها مجسمة .

---

(١) كوبيك : احدى مدن كندا . وقد أسسها الفرنسيون فى سنة ١٦٠٨ م .

چنقياف : فعلا ، ان ما أشعر به انما هو خوف شخص شجاع . لقد لمت نفسى طوال الليل فى القطار السريع لأننى أطعتك .

دوبينو : لقد ناشدنى زلتين منذ عدة أيام بعشرين برقية لأن أبحث عنك لتعجبنى اليوم راضية أو مكرهة الى هذا المنزل . وهو يراهن بخمسة فرنكات للكلمة الواحدة على أن الأمر يتعلق بأعظم ما يهمك فى العالم . ويؤكد أن مصير العلاقات بين فرنسا وألمانيا يمكن أن يتوقف على سفرك : ان العلاقات بين فرنسا وألمانيا لما يهتم به كل من يدرس — كما أفعل — نطق لفظة « شو » فى أقاليم الرّاين . ما أعظم ما يهمك فى العالم ؟

چنقياف : فى العالم ؟ لا شىء . منذ وفاة چاك ، منذ اختفائه من العالم ؟ لا شىء . وعلى كل فمن أجل هذا قد أنصت لك .

دوبينو : لماذا تضاجين اذن ؟

چنقياف : لأنها أول مرة فى حياتى — على ما أعتقد — أتقبل خبرا .

روبينو : مع هذا لم تفتك المصائب ؟

چنفياف : لقد كانت المصائب تأتينى فى صمت . ليس لى أهل ، فقد أمضيت طفولتى فى صمت وبهذا الصمت عرفت أننى يتيمة وكأنه قد أبرقنى بهذا النبأ .. أحببت چاك فورستييه . ومنذ بداية الحرب ، اختفى . ومنذ سبع سنوات لم تصلنى كلمة منه أو اشارة الى وفاته . ها هى المرة الأولى التى يتنازل فيها القدر ليهتم بى ويخبرنى. انى خائفة .. على كل يبدو أنك أنت أيضا لست مستريحا تماما يا روبينو .

روبينو : نعم ، لست مستريحا .

چنفياف : ماذا يقلقك ؟

روبينو : انه للمرة الأولى منذ الحرب ، يا چنفياف ، سأقابل صديقا ألمانيا ، سألمس بيدى صديقا ألمانيا . منذ سبع سنوات ، لم أعد أرى الصداقة تحت هذا الوجه . انى أتساءل ماذا ستكون تلك الصداقة .

چنفياف : هل كنت تحب رفيقك الألمانى ؟

روبينو : ليس زلتين هو من تطلقين عليه الرفيق الألمانى

الا لو كان على العكس من ذلك هو الألمانى الوحيد الذى عاش . ولديه كل هذه العيوب الفاقعة الصاخبة التى كانوا يزينون بها الألمان عندنا قبل سنة ١٨٧٠ — الشعر الأشقر ، الصداقة الخالصة مع الخيال، البعد عن الحقائق، العجرفة المتأصلة التى قد ينعم بها على شعب آخر اذا آصر أبناؤه على حرق مدننا وحلق رءوسهم [1] . لقد شاهدت زيادة على ذلك زلتين فى « مونبارناس » . لقد كان يصلح « موديلا » حسنا لنحاتة مثلك .

چنفياف : موديلا جميلا ؟ لقد كان لديه ضلع ناقص كما تنبىء مشيته ؟

روبينو : كان هذا الضلع قد كسر عندما غاص فى الراين فى المكان الذى انتحر فيه شومان .

چنفياف : كان كعب احدى ساقيه أغلظ من الآخر .

روبينو : كان قد أصيب بالتواء المفاصل عند قفزه من على الصخرة التى كان قد ألقى بنفسه منها « لويس دى باڤير » . كان يريد — كما شرح

(١) لعله يعرض هنا بالشعب الانجليزى .

لى — أن يتذوق اللحظة الأخيرة لكل من عظماء رجال ألمانيـا . اذا وجـدت أن أنفه متهشمة أو مشط كتفه مفرطحا فان هذا بكل تأكيد ذنب « قاجنير » أو « فردريك باربوروس » .

چنقياف : الا لو كان ذنب رصاصة فرنسية .

روبينو : لا تلحى يا چنقياف . لا تثقلى بالرصاص هذه الأشباح التى ستطفو بعد حين حولنا .

چنقياف : هذه الأشباح ؟ أية أشباح ؟

روبينو : لدينا الخيار من « فرسا نچيتوريكس » [1] الى « بلوخر » [2] اذا قصرنا الحديث على الأشباح ذات الزى العسكرى .

چنقياف : حينئذ يا روبينو ، أفضل أن أتركككما وحدكما فى هذه المقابلة الأولى . انى متعبة ورأيت أريكة عند المدخل . نادينى اذا كان وجودى ضروريا .

روبينو : (قلق جدا) اذهبى ! انه هو !

(تخرج چنقياف)

---

(١) قائد فرنسى ولد سنة ٧٢ قبل الميلاد. وقد هزمه يوليوس قيصر .

(٢) قائد ألمانى حارب الامبراطور نابليون الأول .

المشهد السادس

زلتين ـ روبينو

(لبثا برهة من الزمن تفصل بينهما مسافة ويتامل كل منهما الآخر من أحد اطراف المسرح) .

زلتين : هوذا !

روبينو : هوذا !

زلتين : أأنت « روبينو هيبوليت آمابل » ؟

روبينو : آنا هو يا «آوتو فلبلموس فون زلتين بوخينباخ»

زلتين : أأنت ذو الرأس المستدير الأسمر الذى أثقلت نفسك بالنظارة والصدرية الصوفية والمخيف الهجمات ؟

روبينو : نعم أنا هو يا زبدة الثقافة والتقتيل ، يا ابن أرمينيوس [1] .

زلتين : ان لدىّ شعورا اننا نتحدث كمن يتحدثان من بعيد جدا فى التليفون يا روبينو ، وان أى شىء يكفى لقطع المكالمة .. امسك جيدا الجهاز ! .. انى بالرغم من ذلك أراك كما كنت لم تتغير .

---

(١) قائد المانى أباد فرق أحد قواد اغسطس قيصر المدعو « قاروس » سنة ٩ ميلادية وقد اصبح دائع الصيت بين الشعب الألمانى .

روبينو : ولا أنت . ماذا عملت طول هذه الاثنتى عشرة سنة يازلتين ؟ أنت الذى كنت تحب الربيع والموسيقى والسرور والسلم ، ماذا عملت ؟

زلتين : الحرب ! الحرب ضد خمس وثلاثين أمة والكفاح مع واحدة .. وأنت أيها الحامل النظارة والديمقراطى الهادىء المتردد على المكتبات الملكية والامبراطورية ، أنت يا أعز أصدقائى ماذا عملت منذ اثنى عشر عاما ؟

روبينو : الحرب ضدك ..

زلتين : لحسن الحظ اننا غير حاذقين يا روبينو ولم نصب بعضنا . أكنت تصوب الىّ .

روبينو : لقد أطلقت بندقيتى نحو السماء عدة مرات عندما كنت أفكر فيك وقت الهجوم .

زلتين : لقد أخطأتها أيضا . فهى تواصل على الأقل تحليقها فوق ألمانيا . ولكنى كنت أفكر فى الواقع انك لم تكن تحقد على صديقك القديم . كنت أحدث نفسى فى كل مرة تخطئنى رصاصة : « انها طلقة روبينو الطيب » . فكلما انطلقت الرصاصات كالألفاظ الطائشة لتصيب هدفا غير

مقصود كالزجاجات والكمثرى فوق الأشجار لم أتمالك التفكير فى انها رصاصاتك . ولما أصيب مساعدى ذات مرة فى اليته ضحك منه الجميع ، وحينئذ فكرت فيك .. (يأخذ فى الاقتراب منه متصنعا الحديث الأليف) صباح الخير يا روبينو!

روبينو : صباح الخير يا زلتين .

زلتين : أتتمتع بصحة جيدة ؟

روبينو : لا بأس ، وأنت ؟

(فترة سكوت) .

زلتين : ماذا تعمل الآن ؟

روبينو : انى أتمم رسالتى عن الحروف اللثوية .

زلتين : ألا زلت مهتما بفقه اللغة ؟ ألم يحولك دوى الحرب عن لهجاتنا البسيطة ؟

روبينو : ولكن أنت ، لماذا ناديتنى ؟ ماذا تريد ؟ ماذا تعمل ؟

زلتين : ماذا أعمل ؟ انى أواصل العمل . فى ألمانيا ، يواصلون العمل . انى أقوم بالحرب ..

روبينو : الحرب ؟

زلتين : ليست هى هى ، بل الحرب الأهلية . انى أكافح

أعداء ألمانيا الحقيقيين . ان البلاد كالفواكه بداخلها الديدان التى تفسدها .

دوبينو : أتقوم بالدعاية وتلقى المحاضرات ؟

زلتين : كلا ، انها الثورة . فاليوم ١٢ يناير ١٩٢١ وسيندلع لهيبها غدا أو بعد غد . وقد استدعيتك لمعاونتى . ومع انك وصلت فى اللحظة الأخيرة فانى لا غنى لى عنك .

دوبينو : انى أشك فى ذلك . لقد عاق وجودى دائما الأحداث التاريخية . ان التاريخ يحترس منى كما لو كنت حائزا على « الاجريجاسيون » فى التاريخ بدلا من النحو .

زلتين : أمكث فقط ثلاثة أيام فى جوتا . على كل فلست أنت وحدك الذى ألح فى طلبه بل چنڤياڤ ، بالأخص چنڤياڤ . هل هى هنا ؟

دوبينو : نعم . فهى تستريح . لقد أقلقت نومها فى وسط الليل . انها نائمة .

زلتين : ألم تغضب لايقافك لها ؟

دوبينو : انها شخص لا يثور قط . ولكن الزكام الاسبانى انتشر فى باريس بشكل وبائى ، وقد أيقظوها

ليلتين متواليتين لتفرغ فى القالب الأيادى والرءوس الشهيرة اذ هى — كما تعلم — نحاتة .

زلتين : اننى قد أزعجتها للقيام بعملية من هذا النوع .

دوبينو : كيف ، هل تتعلق المسألة بميت ؟

زلتين : بشخص هو فى ذات الوقت حى وميت .. هل سمعت ما يقال عن سيجفريد ؟

دوبينو : عن المستشار سيجفريد ؟ رجلكم العظيم الجديد؟ بالتأكيد ، فصيته يعرفه كل الناس فى أوروبا . فهو الذى يريد أن يمنح ألمانيا دستورها النموذجى ، الذى تنعكس فيه روحها الحقة ، كما يقول أنصاره .

زلتين : وفورستييه . هل تعرف « فورستييه » ؟

دوبينو : الكاتب الفرنسى ؟ صديق چنفياف الذى اختفى ؟ كنت أتحدث معها بشأنه منذ قليل . لا أعرف الا مؤلفاته الرائعة ! انه هو الذى زعم أنه قد رد الى لغتنا وطبائعنا سحرها وحساسيتها . كم كان محقا ! كل مرة أقرأ فيها قصة من رواية الورد[1] أصير أكثر اقتناعا .. ادخال الشعر فى فرنسا

(١) رواية خيالية شهيرة من تراث العصور الوسطى .

والعقل فى ألمانيا تكاد تكون المهمة نفسها .

زلتين : ويقوم بها الشخص نفسه .

دوبينو : ماذا تقول ؟

زلتين : وجد سيجفريد عاريا ؛ فاقد الذاكرة والنطق بين مجموعة من الجرحى . أظن أن سيجفريد وفورستييه هما الرجل نفسه .

دوبينو : يا عزيزى زلتين ، ان الموتى من عظماء الرجال ينتقلون بين الأفلاك ولكن لا تتغير جنسيتهم .

زلتين : انك لا تعرف كيف ترى ولكنك تحسن القراءة . لو كنت مكان القديس توما لاقتنعت برؤية خط يسوع دون الحاجة الى رؤية يديه . كما انك اذا قرأت مؤلفات سيجفريد ستجد انها صورة من مؤلفات فورستييه . ان الالهام والأسلوب وحتى التعابير كلها متشابهة .

دوبينو : ان السرقة أساس كل الآداب ما عدا الأولى التى هى على كل حال مجهولة .

زلتين : آه ! هؤلاء الفقهاء الفرنسيون ، يا لهم من فقهاء فى الألمانية ! كنت أتعشم أن أفوز بتأييدك بسرعة أكثر باستخدامى الوسائل التى تنفق وعلمك .

وان لم يكن فى الواقع منهج كبار العلماء هو الذى قادنى الى الحقيقة .

روبينو : لا أشك فى ذلك . انها الطريقة الأكثر شيوعا وليست الأقل ثمرة وهى طريقة الوشاية المجهلة .

زلتين : تماما ! زائر أجهل اسمه أخبرنى أن سيجفريد كان جاره فى العيادة وأنه ليس ألمانيا . كان قد قرأ اسمه على هوية شخصية وجدها فى النقالة مكتوبا عليها : چاك فورستييه . نعم أنا أعرف أن قصتى تبدأ من حيث تنتهى الفاجعة تبدأ بصليب أمى [1] .. ولكن أخيرا ، تستنتج من هنا مدى سرورى .

روبينو : انى ألمسه ! استبدال رجل دولة نبغضه بكاتب نحبه ، انها لفرصة طيبة .

زلتين : ان التخلص من رجل عظيم يعوق وطنك بزحزحته الى وطن آخر لحظ أعظم . لقد قمت بتحرياتى وأرجو أن تؤدى الى نتيجة اليوم وسوف يستريح قلبنا بعد لحظة .

(١) يقصد بأمه هنا ألمانيا .

روبينو : القلب مستريح يا زلتين ؟ أى قلب ؟ ربما قلب چنڤياف ؟ ماذا تعمل ؟

(يدق زلتين الجرس ويدخل موك)

زلتين : موك ، أخبر المستشار سيجفريد ان المدرسة الكندية ترغب فى الحديث معه . (ينحنى موك ويصعد) . هو ذا ! ليس لدينا الا الانتظار . يعشق سيجفريد الجامعيين الأجانب وخاصة الذين فى العالم الجديد . انه يسألهم بولع عن النصائح الأكاديمية ، عن نظام السجون وعن التربية المختلطة . ستجتذبه هذه المغريات التى يتعذر مقاومتها وسينزل بعد دقيقة واحدة لرؤية چنڤياف .

روبينو : ينزل ؟ لماذا ينزل ؟

زلتين : انا فى بيته . انه هنا فى الطابق الأول .. ناد چنڤياف .

روبينو : لا يمكن القيام بذلك أبدا ! يجب اعدادهما .. فالذين يسيرون أو يتحدثون أثناء نومهم يصابون بأعظم الأخطار عندما ينادون بأسمائهم حتى ولو بلهجة أجنبية .

(تظهر چنڤياف)

زلتين : لا تنادها ، ها هى . ان أشخاص القدر يلبون الدعوة دون استدعائهم .

المشهد السابع

چنقياف ـ زلتين ـ روبينو

چنقياف : حينئذ يا سيد زلتين ، ماذا حدث ؟

روبينو : لا شيء يا چنقياف . سنقول لك ذلك غدا .

چنقياف : ماذا يا سيد زلتين ؟

زلتين : أنستطيع أن نحدثك عما يحزنك جدا ؟

چنقياف : (وهى متجهة نحو روبينو) آه ؟

روبينو : نعم .

چنقياف : عن چاك ؟

زلتين : نعم ، عن فورستييه .. هل نستطيع أن نحدثك عنه ؟ ألا تتألمين من ذلك ؟

چنقياف : (بكل بساطة ولطف) فلنتكلم عن فورستييه . هل وجدت جثته ؟ هل يريدون أن أتعرف عليها ؟ ماذا قلت يا سيد دى زلتين ؟ لماذا هذه النظرات ؟

زلتين : انى أعجب فى كل انسان بما يبدو من تغير فى صوته وما يأتيه من حركات تتفق مع الحدث الخطير الذى يقدم عليه .

چنفياف : (تجلس وهى تكاد تبتسم بين زلتين وروبينو وهو واقف) . نعم ، انى أعرف . لقد قالوا لى ذلك . انى عـلى استعداد لأتقبل نعى ابنى أو والدتى أو نبأ افلاس والدى القائم عـلى الغش .. ان المصيبة ، المصيبة الحقيقية هى أنه لم يكن لى أبدا أهل أو أولاد . لا تأتى المأساة الا وأنا على تمام الاستعداد للمساهمة فيها . سأصير كفيدر [1] ولكن دون ابن زوج ودون زوج ودون تشكك الضمير أى فيدر هازلة . لم يبق بعد شىء كبير للقدر .

زلتين : وفورستييه ؟

چنفياف : أما عن فورستييه بالذات .. لقد أحببنا بعضـنا عامين من ١٩١٢ الى ١٩١٤ . وكنت سأضطر الى احتمال همّ حروبه والحزن بعد موته وميراث مجده .. ولكننى أفلت من هذا المصير المحتوم : اننا اختلفنا قبل نشوب الحرب بشهر اثر مشاجرة بسيطة جدا ، فافترقنا وبذلك جنبنى القـدر

---

(١) بطلة احدى مسرحيات « راسين » .

مفارقة الحياة ولبس الحداد . فخلف كل حداد فرصة أفلتت منى .

زلتين : لماذا لم تتصافيا فى بداية الحرب ؟

چنفياف : كنت أدع ذلك لأيام الأجازة الخمسة .. أما الآن فلنعتمد على الأديان التى تؤمن بحياة أخرى . وعلى كل فقد تحاشيت دائما الأوضاع الرسمية.. انى ابنة غير شرعية .. كنت أكره أن أكون أرمل .

زلتين : انه لم يمت . انه مفقود !

چنفياف : اختفى ثم ظهر ثانية . كل رفات العظماء التى تكمن فى أغوار الأرض وتخلد بتماثيل من الرخام فى أرجاء الوطن قد ظهرت . انى أتخيل وجود تمثال لرأسه من الجرانيت فى أحد ميادين « ليموچ » وآخر ليده اليمنى من المرمر الأبيض حاملة الغار فى « أورليان » .

زلتين : انه مفقود ويمكن أن يظهر ثانية .

چنفياف : صدقنى ان هذا ما تحدثنى به نفسى أحيانا .

زلتين : هل لديك احساس بما سيجد ؟

چنقياف : بالعكس . لم أره قط فى المنام . انه لم يؤرقنى ولم يزعجنى بل لم أسمع نعيه ..

(يمر موك وينحنى امام زلتـــين . يزداد اضطراب روبينو . سكون مؤلم يسمع أثناءه باب ينفتح فى الطبقة العليا)

زلتين : واذا عاد ثانية ورأيته ينزل فجأة من فوق ، من هذا السلم ؟

چنقياف : (مبتسمة) انى متشاجرة معه .

(يسمع صوت سيجفريد)

زلتين : انصتى .

چنقياف : أى شىء ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ ولكن هذا صوت چاك ! .. (فوق يسكن الصوت) . لقد كان صوت من ؟

زلتين : صوت صاحب المنزل ، المستشار سيجفريد .

چنقياف : (تتجه نحو السلم وتصيح) چاك ! .. (يعم السكوت فتعود ثانية) اشرح لى ..

روبينو : يعتقد زلتين انه اكتشف ان سيجفريد الذى وجد فيما مضى دون ذاكرة فى ملجأ للجرحى ليس الا فورستييه .

(يفتح سيجفريد الباب)

چنفياف : من ينزل هنا ؟

زلتين : هو ، سيجفريد .

چنفياف : (لا تتجاسر أن تنظر وتحدث نفسها) ليست هذه خطوته ! .. أو ربما يحمل حملا ثقيلا ! .. نعم . هذه خطوته عندما كان يحملنى .. ماذا يحمل اذن أثقل منى ! انه صوته ! انه شبحه ! (يظهر سيجفريد فى أسفل السلم ، تصحبه ايثا) انه هو !

(يختفى زلتين وهو مسرور) .

روبينو : اسكتى لئلا تقتليه .

(تتراجع الى داخل القاعه) .

چنفياف : ها قد ارتديت ملابسك يا چاك !

المشهد الثامن

سيجفريد ـ چنفياف ـ روبينو

(يترك سيجفريد ايثا تخرج من الباب الكبير ثم يتجه مباشرة نحو چنفياف التى تراجعت قليلا . فيحييها على الطريقة الالمانية ضاربا كعب حذائه على الأرض) .

سيجفريد : (مقدما نفسه) الوزير سيجفريد . (تحنى چنفياف رأسها) . كنت أعتقد انى سأجد

امرأة عجوزا ، عجوزا جدا . انى لا أجرؤ أن أكشف عن نيتى . (تنظر اليه چنفياف باستمرار) ان لم أكن مخطئا فأنت السيدة الكندية الفرنسية التى أخبرونى عنها منذ لحظة ؟ (تهز چنفياف رأسها بالايجاب) . أتفهمينى جيدا ؟ انى أعلم ان لغتى الفرنسية ليست طلقة أو عادية.. ولهذا السبب أحب أن آخذ دروسا .. كل مساء فى حوالى الساعة السادسة ، امنح نفسى ساعة للراحة .. هل يمكن أن تؤدى لى خدمة بحضورك فى هذا الوقت منذ الغد ؟

روبينو : اقبلى .

(تحنى چنفياف راسها) .

سيجفريد : هل أتعشم أننى لن آخذ دروسى مع سيدة بكماء؟

روبينو : اطمئن يا سيدى . ولكنها مترددة ..

سيجفريد : هل السيدة امرأتك ؟ انى أعتذر اذن ..

روبينو : كلا ، ان السيدة صديقتى ولكنها لم تعط دروسا مطلقا . انها تتساءل اذا كانت قادرة على ذلك . توجد فروق بيّنة بين اللغة الفرنسية فى كندا وبينها فى فرنسا . نطلق على الترام اسم عربة فى كوبيك وعلى المعطف اسم قماش ..

سيجفريد : والجليد كيف يسمى هناك ؟

روبينو : الجليد ؟ نقول الجليد .. لماذا الجليد ؟

سيجفريد : والشتاء ؟

روبينو : الشتاء ... كالصيف ... أريد أن أقول : ان الفصول لها نفس أسمائها فى فرنسا .

سيجفريد : اذن هذا سيكفينى . لست فى حاجة الى مفردات أدق ... ولا أهمية عندى لو تأثرت بلهجة كوبيك . فقد أصبحت الحياة شديدة الضيق ومملة جدا لدرجة اننى فى حاجة لأروح عن نفسى بأحاديث واسعة وموضوعات واسعة . ان اللغة الفرنسية الكندية بانهارها الكبيرة وفصولها الطويلة هى التى تلزمنى ... والصمت ياآنستى، كيف تسمون ذلك فى كندا ؟

چنفياف : (ببطء) وفى اللغة الألمانية ؟

سيجفريد : نسميه : شتيليه ! زيلنتيوم !

چنفياف : يسمى صمتا (سيلانس) .

سيجفريد : كم تبدو متفتحة ونقية الكلمات التى تأتينا من بلد جديد ومفتوح .

روبينو : عفوا . فهذه فى الأصل كلمات فرنسية .

سيجفريد : فرنسية بكل تأكيد ولكنها جابت المجهول . ان كلمة جايد فى فرنسا ليست فى قوة المعنى الموجود عندكم فى كندا . فقد اخذتم من فرنسا كلمة كانت تستخدمها لبضعة أيام فى السنة وجعلتم منها بطانة كل لغتكم .

چنفياف : الى الغد . (بسرعة جدا) كيف ارتديت ملابسك يا چاك !

سيجفريد : هل تكلمينني ؟ ... ان فهمى يكون بطيئا جدا عندما تتكلمين بمثل هذه السرعة .

چنفياف : بأية سرعة ينبغى أن أكلمك غدا ؟

سيجفريد : فلنحاول ... القى على بعض قطع كلاسية . وسأخبرك عندما أكف عن الفهم .فلننظم سرعتنا.

چنفياف : (ببطء فى البداية ثم بسرعة جدا) : عندما كان يأتى الربيع ، عندما كانت تفتح الزيزفونات الأولى أوراقها فى شارع « سان چرمان » ، كنا ننزل سويا فى حوالى الساعة الخامسة الى مقهى « كلونى » . كنت تطلب عصير الفراولة . فى الساعة السادسة ، كنت تقصد جريدة « الإكسيون » الفرنسية حيث كنت تكتب فيها

تقريرا ملكيا عن جلسة البرلمان . وكنت أتوجه لأخذك فى الساعة الثامنة لتذهب الى جريدة « اللنتيرن » حيث كنت تتم التقرير الاشتراكى عن جلسة الشيوخ . هذا ما تم خلال سنتين من عمرنا يا چاك .

سيجفريد : اسرعى قليلا . انى أفهم الكلمات لا المعنى ... ان القطعة طويلة . الى الغد يا آنسنى ؛ انى متأكد اننا سنجد النطق الذى يناسبنا فيما بين هذا السكوت الفريد وهذا الكلام السريع. انى أشعر بسرور لهذه الجلسة .

(يحييها وهو يضم كعبى قدميه) .

چنفياف : (بتحفظ) چاك !

ايڤا : (وقد ظهرت على العتبة) سيجفريد !

سيجفريد : (يشير باشارة عريضة الى ايڤا ويعتذر بابتسامة) ينادوننى .

(يسدل الستار)

الفصل الثانى

قاعة عمل عند سيجفريد بها أثاث من طرز أواخر القرن التاسع عشر ولها نافذة زجاجية عريضة مغطاة بالجليد الذى يتساقط . يصل من المكان المجاور طوال هذا الفصل صدى بيانو تتمرن عليه عازفة المانية ماهرة .

المشهد الاول

(عند رفع الستار يظهر الجنرال دى فونچلوا عليـــه بدلة عسكرية سوداء بيضاء واقفا الى اليسار ويبدو أنه ينتظر . يدق الجرس فتظهر ايفا وتقود الجنرال فى ممر ثم تذهب لتفتح الباب، وتدخل چنفياف وروبينو) .

چنفياف ـ روبينو

روبينو : حان وقت الدرس يا آنستى .

ايفا : سأخبر السيد المستشار .

(تخرج ايفا . يعم السكوت . تبين چنفياف باشارة منها الحجرة لروبينو) .

چنفياف : حقا لم أكن أتصور معبد النســيان على هذا النحو .

روبينو : هل كان الحال أفضل عند فورستييه ؟

چنفياف : العكس تماما !

روبينو : ماذا تقصدين بالعكس ؟ألم يكن يملك فورستييه كرسيا ومكتبا ؟

چنفياف : كانت المقاعد على عكس هذه والمائدة على عكس هذه بل والنور على عكس هذا النور أيضا .

روبينو : ان هذاالأثاث ياصغيرتى من«كولينشفنتسبادر».

چنفياف : كان يمكننى أن أراهن على ...

روبينو : وهـذه تمـاثيل أشـخاص منحوتة من صنع « ڤيزلجروشميد فاتر » .

چنفياف : لست مندهشـة قط لذلك . والـكهرباء من صنع من ؟

روبينو : ماذا يدهشك اذن ؟

چنفياف : الى حين دخولى فى هذا المنزل منذ قليل لم يكن يدور بخاطرى أنأرى فورستييه على قيد الحياة. حضرت ولدى شعور بأن أنزل فى ملجأ مظلم أو فى مكان مهمل ، فى مكتب يتوسط ما كان عليه فى باريس وما قدر له فى الحياة الأخرى ... كنت قد حضرت لنقل مومياء ... كنت سأنزل فى مقبرة ملكية ... ولكن ها هو ما وجدته .

روبينو : وجدت الرفاهية .

چنقياف : لم تكن قد ساورتنى فكرة الرفاهية عندما كنت أفكر فى شبح فورستييه . لقد أخطأت فى الواقع بالأمس لاعتقادى أنه يعيش دون كراسى أو ساعة كبيرة أو محبرة ... يا الهى انهم يدعونه يكتب بالمداد الأحمر وهو يمقت ذلك !
والسيجار ؛ انه يدخنه الآن مع أنه يبغضه . انى متأكدة أنهم أجبروه لعمل الشيئين اللذين يكرههما كثيرا : التنزه فى الشوارع عارى الرأس ولبس الحمالات ... تشجع يا روبينو ! سيلزمنا أن نخل بعادات هذه المقبرة ... أبعد لوازم التدخين أولا ، وضعها اينما تشاء .

روبينو : انت تهذين ، ان هذه التوابع جميلة .

چنقياف : وعملية .

روبينو : طبعا عملية . أنظرى : تأخذين عود الثقاب من هذا السنجاب ، تحكيه على ظهر « ڤوتن » وتشعلى السيجارة المأخوذة من بطن البجعة . تلقين بالرماد فى هذه « الڤالكيرى » وبالعقب فى الدب .. هذه المجموعة من الحيوانات الخرافية

أو الأبطال الذين يحب الألمان أن يحركوها فى أعمالهم المبتذلة فهى مهما كانت ضرب من الحياة . انها تشبه هذا الافريز المصنوع من النحاس على شكل الحيوانات الخيالية التى نصفها الأعلى يشبه الانسان ونصفها الأسفل يشبه الحصان والجن يجد فى أثرها . انها تبدو وكأنها حية .

چنفياف : نعم ، يجب قتلهم .

دوبينو : اجلسى على كل حال .

چنفياف : لا شىء فى يتلاءم مع هذا الأثاث فضلا عن أن هذا المقعد مشغول اذ ان هناك نقشا على هذه الوسادة .

دوبينو : ان العادة المستحدثة فى ألمانيا تطريز الأمثال . فها هى الوسادة تقول !

حلم فى الليل ،

وسادة فى النهار .

چنفياف : من يطلب منها شيئا ؟ وهذا التطريز على غطاء المائدة المستديرة : هل هو مثل أيضا ؟

دوبينو : (يقرأ) الكذب چوكى التعاسة .

چنفياف : أتعتقد أن مائدة وأغطية جديدة مناسبة ستقدم

لك بنفسها رواسب الروتين البشرى ؟ ان ما نراه من ثرثرة للمقـاعد وغناء خفيف للرفوف لرياء واضح والا فلينطق حقا هذا الأثاث كما هـو الحال عند « هوفمان » فلتغن المائدة أغـانى « التيرول » ولتعبر الوسادة عن رأيها فيمن يجلس عليها !

روبينو : اجلسى أولا يا چنفياف .

چنفياف : فى الواقع يبدو لى أننى أفهم ألمانيا عندما يخيم عليهـا الصمت . فهذه المدينـة ذات الأبراج والأجراس وواجهات الأسقف المثلثة الشكل التى أريتنى اياها هذا المساء ، والتى كانت نقوشـها الوحيدة هى بقع القمر ، وهذا السيل الساكن المتجمد حتى القاع والصامت بالضرورة ، أعرف زمن تجمده وقوة احتماله ولغة حديثه . ماذا تعمل هنا يا روبينو ؟

(يضع روبينو بعض الأشـياء فى رفوف المكتبة) .

روبينو : قنابل زمنية . انهما كتابان فرنسيان وجدتهما عند أحد باعة الكتب . لم يكن هنالك مجال

كبير للاختيار . هنا أضع كتابا خاصا باختيار أسماك الغدير وأسماك الأنهار . وهناك أضع كتابا عن مزايا النساء تأليف « لوجوڤيه » . لا أقول أنهما سيعدلان كيان سيجفريد بل انه سيراهما ويقرأهما . وأنت ماذا تنوين عمله ؟

چنڤياف : لا أعرف . كنت أنوى استشارتك . انه لأمر خطير .

روبينو : خطير جدا .. أيمكنك أن تبدئى بالفعل الماضى الناقص لصيغة الشك ؟

چنڤياف : لست أتكلم عن درس اللغة الفرنسية . ولكن عن السر الذى يجب أن أكشفه له .

روبينو : هذا هو ما فهمته . صدقينى يا چنڤياف اننى قد أعطيت دروسا لمدة عشر سنوات لمختلف الأجانب سواء كانوا اسكندينافيين أو برازيليين ومع أن علاقتنا لم تكن الا علاقة تلميذ بأستاذه ، فقد كان يكفى أن أشرح لهم الماضى الناقص لصيغة الشك ليقوم بيننا نوع من التجانس والانشراح العاطفى . وفعلا قد نشأت عاطفة أو عاطفتان كاملتان من هذا الشرح يا چنڤياف .

چنقياف : لا تمزح يا روبينو . شجعني وأرشدني حتى لا أحيد عن الصواب . عليك أن تعرف جيدا الدور الذى أقوم به . انى أخفى خنجرا فى صدرى . وبالاجمال ماذا جئت أعمله هنا ؟ جئت لقتل سيجفريد . جئت لطعن الملك العدو تحت خيمته .

روبينو : انه قتل بلا جرح ولا جثة .

چنقياف : فعلا ! سأعمل جرحا خفيا وأسفك دما عديم اللون . انى خائفة .

روبينو : لا تتعجلى الأمور . تعليم اللغة الفرنسية يحتاج الى عشرين درسا .

چنقياف : ان هذا مفزع أكثر . بدلا من قتل سيجفريد ، تتصحنى بتسميم هذا الكائن الطيّع .. ماذا تعمل هنا ؟

روبينو : انى أستبدل لفائف تبغه بأخرى من نوع « الكاپورال » .

چنقياف : نعم . لقد شرحت لى طريقتك يا روبينو . أليست استبدال مشط سيجفريد بآخر من باريس واستبدال كل قطعة من أثاث هذه القاعة بأخرى

من آثامها واستبدال أنواع طعامه بأخرى فرنسية وحقول حشيشة الدينار بالكروم وكل ألمانى بفرنسى ، وفى آخر يوم يستبدل سيجفريد بفورستيه ؟

روبينو : هذه طريقتى .

چنفياف : أشعر أننى عاجزة عن اتباعها . فلم أجد الشجاعة الكافية لأن أضع مجوهراتى التى كان يعرفها أو التى اختارها لى . ولم أتعطر بما كان يحب من العطور . والخياطون يحيكون فى هذا الشتاء أثوابا لا تنم عن جدة بل تصلح لكل عصر وكأنهم يحيكونها للأبدية . وشعرى مقصوص كما كان الحال منذ أن رآنى . ولم يحدث قط أن كنت كما أنا اليوم فى حالة نفسية مضطربة وحالة جسمية فقدت طابعها المميز . انى أشعر شعورا قويا بألا حظ لى فى أن أصل الى فورستييه الا بما لدىّ من مميزات غير شخصية حسيمة وبالغة الدقة . انى أعبىء كل ما لدىّ من أفكار عامة ومشاعر لا عمر لها . انى خائفة جدا يا عزيزى روبينو أن يكون كلامنا عن صيغة

أفعال الشك أقل بكثير من الكلام عن الحياة والموت .

روبينو : ولكن هل ستقولين له من هو ؟

چنفياف : من هو الآن ؟ .. سنرى . أوه ! انظر يا روبينو !
(تشير الى صورة فى اطار) .

روبينو : هذه الصورة ؟

چنفياف : هذه الصورة النسائية ؟

روبينو : هدئى من روعك . انها لوحة ..

چنفياف : أيتها الصورة العزيزة ! انها صورة زوجة « ڤرمير دى لفت » . آه ! انظر لها يا روبينو واشكرها . انى أستعيد الثقة برؤيتها !

روبينو : انها تشبهك .

چنفياف : لقد كانت لديه صورة مشابهة فى مكتبه بباريس . لا شك انها الشىء الوحيد المشترك بين حياته السالفة وحياته اليوم ، وعلى كل فلم يفقد أى شىء يا روبينو ما دامت سورة هذه الهولندية الصغيرة قد وجدت السبيل للحاق به وسط كل هذا الفراغ وهذه القتامة .

روبينو : أتركك . لم تعودى وحيدة .

چنفياف : ليس هو الاطار نفسه فقد كان ما لدى فورستييه عبارة عن اطار خشبى بسيط . أما ما لدى سيجفريد فيبدو لى أنه مصنوع من القرن والعاج والألومنيوم وزواياه مذهبة ! بأى اطار من طبقة عليا يتحتم أن أحيط نفسى لأصل الى شبكة عينه ؛ هل ستنصرف ؟ .. بعد قليل ، الى العمل . خذ هذه الوسائد ، ويجب ألا يحدث أى أثاث صوتا حتى البيانو أثناء اعطائى الدرس ! خذ معك هذه الزهور . فاليوم موعد جنى الزهور الصناعية . فلتطرح تماثيل تلك الأقزام والحيوانات الخيالية فى الدرج . حيث يمر الفرنسيون ، لا يجوز العبث بين الجنّ والآلهة.

(تطفىء چنفياف الثريا)

روبينو : لماذا كل هذا الظلام الذى لا يمكن التحقق من الأشخاص فيه ؟

چنفياف : آه ! سيتعرف كل منا على الآخر بسرعة حتى لو كنا كفيفين ! (دفعت روبينو الى الخارج . وعندما أصبحت وحيدة ، أشعلت مصباحا صغيرا قريبا من صورة « ڤرمير » ووضعت أمامها

الورود الموجودة فى صدرها) . والآن عد ثانية يا شبح فورستيه .

(يدخل سيجفريد ببطء من جهة اليسار) .

المشـــهد الثانى

چنفياف ـ سيجفريد

سيجفريد : صباح الخير ، يا سيدتى .

چنفياف : (مندهشة ومتراجعة) لا ، آنسة .

سيجفريد : أأستطيع أن أسألك عن اسمك ؟

چنفياف : پرات .. اسم عائلتى هو پرات .

سيجفريد : واسمك الخاص ؟

چنفياف : چنفياف .

سيجفريد : چنفياف .. أأنطقه جيدا ؟

چنفياف : مع بعض البطء . ولكن لأول مرة ..

سيجفريد : ألخص .. أترغبين أن ألخص من حين الى آخر حديثنا ؟ انه سهل فى هذه المرة . كان الحوار نموذجيا . ألخص فى أقل كلمات ممكنة : أتوجد أمامى الآنسة چنفياف پرات ؟

چنفياف : هى نفسها .

(تجلس . ويجلس هو على ذراع الكرسى) .

سيجفريد : ماذا كنت تعملين فى كندا ؟

چنفياف : فى كندا ؟ كنا نملك .. الذى يملك هناك .. ضيعة .

سيجفريد : أين ؟

چنفياف : فى الريف .. (يضحك) بالقرب من مدينة ..

سيجفريد : أية مدينة ؟

چنفياف : أية مدينة ؟ أنت تعلم انهم يهتمون قليلا بالأسماء فى كندا . ان البلد كبير ولكن الناس جميعهم جيران . كانوا يسمون بحيرتنا ، البحيرة ؛ مدينتنا ، المدينة . النهر (بكل تأكيد ستسألنى عن النهر الواسع الذى يخترق كندا) لا أحد هناك يتذكر اسمه : انه النهر .

سيجفريد : لا يمكن أن تكون مهمة البريد سهلة ..

چنفياف : قليلا ما يتراسلون . وننقل الخطابات فى زحافات.

سيجفريد : ماذا كنت تعملين فى الضيعة ؟

چنفياف : كنت أهتم كغيرى فى كندا بالجليد على وجه الخصوص .

سيجفريد : (ضاحكا) فهمت . أكانت ضيعة من الجليد ، وهذه ملابسك الريفية ؟

چنقياف : اننا أغنياء . والمحصول يجود أحيانا بفضل شدة البرودة .

سيجفريد : لماذا تمزحين هكذا ؟

چنقياف : (ضاحكة) لماذا تجبرنى على النقاش فى موضوع لا يخصنى ؟ لا ، طبعا ، لست كندية . ما دخل هذا فى درسنا ! فلنستبدل فقط الاثبات بالنفى . لست كندية ، لم أقتل أى دب الخ .. الفائدة لتلميذى ستكون واحدة .

سيجفريد : من أنت ؟

چنقياف : فلنعقد التمرين . خمّن : لا أقتل الدب ولكنى أعشق تفصيل ثيابى بنفسى . لا أمارس الانزلاق على الجليد ولكن طهيى متقن .

سيجفريد : أأنت فرنسية ؟ لماذا تخفين ذلك ؟

چنقياف : ها هى الأسئلة !

سيجفريد : أنت محقة ... انى لست الا آلة توجه الأسئلة عن كل ما يعد غريبا عنى وكل غريب لابد أن يعلق بى . لست بجسمى وروحى الا يد غريق ... هل حدثوك عن قصتى ؟

چنقياف : أية قصة ؟

سيجفريد : انها لنادرة الموضوعات التى أستطيع أن أتحدث فيها دون توجيه أسئلة : الضرائب الألمانية المباشرة منذ سنة ١٨٤٨ وقانون الأحوال الشخصية فى الامبراطورية الجرمانية منذ عام ١٠٠٠ ، هذان هما المجالان الوحيدان تقريبا اللذان أستطيع أن أجيب فيهما بدلا من أن أسأل ، ولا يبدو لى بأنه ينبغى اشراكك فى ذلك

چنفياف : سنبحث هـذا الأمر فى يوم أحد ... اذن سل ما تريد .

سيجفريد : كان الأفضل ألا أسألك من أنت ! فبسؤالى هذا بدا لى كأنى سألتك عن كل شىء . ويبدو لى أن الاجابة عن كل شىء هى باسم يليه لقب . فاذا استعدت يوما اسمى ولقبى فلن أجيب على أى سؤال بغير ذكرهما . نعم ، اننى فلان .. نعم انه الشتاء ، ولكنى فلان .. كم يحلو القول : « أن الجليد يتساقط ، ولكنى چنفياف پرات ... » .

چنفياف : سأكون قاسية لو عارضتك . ولكنى لا أشاركك الا قليلا فى رأيك ... انى أجد أن جميع الكائنات محكوم عليها بجهل حقائقها بصورة قاسية جدا !

واسمها ولقبها وكنيتها ومناصبها وألقابها عبارة عن مظاهر خارجية ووقتية جدا وقليلا ما تكشف عن حقيقة أصحابها حتى أمام أنفسهم ! سأبدو لك أننى قليلة الانشراح جـدا ، ولكن الضيق الذى يحس به الناس أمام الجندى المجهول ، أحس بأكثر منه أمام أى انسان .

سيجفريد : ربما أنا وحدى الذى أبدو لك ولى اسم فى هذه الدنيـا .

چنفياف : لا داعى للمبالغة .

سيجفريد : اغفرى لى هذا الضجر . ففى أى وقت آخر ، كنت أحب أن أخفى عنـك لمـدة بضعـة أيام ما أعيش فيه من دياجير الظلام . وأكبر عطف أستطيع أن أطمع فيه من الناس هو جهلهم بمصيرى . لو قلت لك اننى أنحدر حقا من أسرة سيجفريد وأن اشبينتى أصيبت بالتواء المفاصـل وجدتى الكبيرة لم تعمر طويلا ، لصدقت ذلك وأمكننا أن نتفرغ لدراسة الأفعال الشاذة .

چنفياف : اننا ننسى فعلا الدرس . أسألنى أيها السـيد مستشار الدولة ما دمت تفضل السؤال . اسألنى

عما تسأل عنه كل مدرسة تحظى بمحبة طلابهـا ويسأل عنه أيضا العابرون المجهولون . سلنى عما هو الفن أو الموت . فهذه تمارين ممتازة للانشاء اللغوى .

سيجفريد : والحياة ، ما هى ؟

چنفياف : ان هـذا سؤال للاميرات الروسيات . ولكنى أستطيع أن أجيب عليه : انها مغامرة مريبة بالنسبة للاحياء وشىء مستحب بالنسبة للموتى .

سيجفريد : وللذين هم فى ذات الوقت أموات وأحياء ؟

چنفياف : سـأكف عن مواصلـة الدرس فيمـا تنقبض له النفس ... وخير لنا أن نفتح الكتاب فى الباب الخاص بالحلاق أو بصياح الحيوانات . الا يهمك أن تعرف كيف يسمون فى فرنسا صياح البومة ؟

سيجفريد : لا مانع لدى اذا راق لك ذلك . وكل ما فيك ينم عن البشاشـة والرقة بل والمرح أيضا ، ولكنى لا أعرف القصـد من وراء نشرك خلف هـذه التمرينات التى تتظاهر بها هذه الشباك المقبضة التى أقفز فيها .

چنقياك : كان لى خطيب قتل فى الحرب . وانتهت حياتى ببدء حياتك .

سيجفريد : انى أرثى لك ... وسأغير الموضوع مرة أخرى .

چنقياك : فلنغيره .

سيجفريد : لا تتكلمين هكذا ... كم تبتهج عيناى ويفرح قلبى بما أحسه يحلق فوقك فى طبقات عميقة متميزة من حصيلة سنى طفولتى ويفاعتى وشبابى التى حملتيها الىّ عند دخولك هذا البيت ! ان هذه الباقة من كلمات لغتك الأصلية وهذه الحصيلة من سوناتات وسمفونيات وأوبرات الطفولة وبواكير لقائك بالقمر والزهور والمحيط التى أراها تكلل هامتك ، كم ستخطئين لو حاولت تغييرها بما سيأتى به المستقبل وناجيت مثلى الليل والنجوم : « أيها الليل ، أيتها النجوم ، لم أراكم قط الرؤية الأولى .. » (يقول ذلك وهو يبتسم) . وأظن أنك تدللينهم ؟

چنقياك : ولكن هذا الاحساس بالشىء البكر أو ما تستطيع أن تحس به ازاء الطموح والسلطة والحب ؟

سيجفريد : كلا . انى أشعر بأن قلبى لا تزال به أركان كثيرة

خالية . انى كثيرا ما ألوم نفسى لأننى وصلت الى هذه السن دون أن أحقق ما اشتهيه من الرغبات والاعجاب والحب . وهذه الأركان لم أجرؤ حتى اليوم على اغلاقها . وهأنذا ما زلت أنتظر .

چنفياف : لن يطول انتظارك .

سيجفريد : ان نفسى تحدثنى أحيانا بذلك . فكثيرا ما ينوب القدر عن البشر فى حل الألغاز التى تعرض لهم . فيستخرج لنا من جوف البطاطس ماسا نادرا مفقودا أو يهدينا بعد مائة عام الى حطام سفن كان العالم كله قد سلم بضياعها . فانه لمن المصادفة البحتة أن يتسرب خطأ الى السجلات السماوية ، فالقائمون عليها شديدو الدقة . وكم سيضجون بالغضب اذا علموا أن لسيجفريد ملفين . ومع ذلك فثقتى عظيمة بعناصر الحياة التى لا يمكن أن يخمد لها صوت .. وأنت أيتها الانسانة ، أتسكتين ؟

چنفياف : انى أعدّ عبارة .

سيجفريد : أنت محقة . فلنعد الى درسك .. فلنعد اليك .

(يقترب منها وينظر اليها)

چنفياف : انك تعود من بعيد لكنك قريب جدا .

سيجفريد : عفوا اذا اقتربت منك أنت الغريبة عنى كما أفعل ذلك كل يوم أمام صورتى فى المرآه .. انى أشعر بعذوبة كثيرة عندما أقف على سر أكثر رقة وفتنة من سرى ! كم أشعر براحة عندما أتساءل من هى هذه السيدة الحديثة السن ، من أحبت ، لما تشبه !

چنفياف : لمن .. اسم موصول مؤنث عاقل ..

سيجفريد : نصبح بسرعة عرّافين عندما يتعلق الأمر بالآخرين ! انى أراك فتاة تلعبين بالحبل وشابة تقرئين بالقرب من مصباحك كما أتخيلك على حافة غدير تنشرين هدوءا أو على ضفة نهر تعكسين اضطرابا . عزيزتى چنفياف ، لم تكن حياتك كلها مرحا . انى أراك فتاة حديثة السن تصلين على قبر خطيبك ..

چنفياف : كلا .. انه فقد ..

سيجفريد : وا ! عفوا .. أكان ضابطا .

چنفياف : أصبح ضابطا أثناء الحرب . لقد فقد وهو ضابط وكان مرتديا هذا الزى الأزرق الفاتح الذى

كان ينبغى أن يخفيه عن عيون الأعداء وحجبه بالنسبة لنا .. كان كاتبا .. كان أحد الذين يتوقعون الحرب ويتمنى أن تستعد فرنسا لها .

سيجفريد : أكان يكره ألمانيا ؟

چنفياف : كان يمكن أن يحب ألمانيا المحبة للسلام . كان متأكدا من هزيمتها . كان يستعد أن يظهر لها ذات يوم وده .

سيجفريد : ماذا كان يقول عنها ؟ لا تخافى . لم أعرف ألمانيا هذه . فأنا كفتى ألمانى فى السادسة من عمره .

چنفياف : انى لا أشتغل بالسياسة .

سيجفريد : ألا تكونين بسيطة ؟

چنفياف : كان يقول — على ما أذكر جيدا — ان ألمانيا بلاد عظيمة وشعبها مجد متحمس ، بلاد ذائعة الصيت فى الشعر ؛ كثيرا ما تنال فيها المطربة التى لا تحسن الغناء ما لا تناله المطربة التى تحسنه فى بلاد أخرى ، ولكنها بلاد شرسة وسفاكة للدماء وغليظة القلب مع الضعفاء ..

سيجفريد : هل كان يحدثك عن حيوية هذه الامبراطورية التى يرجع تاريخها الى أكثر من ألفى سنة وعن

عظمة هذا الفن الذى انغمست فيه وعن الحياة الصادقة لهذه الجماهير التى يصفونها فى كل مكان بالرياء وعما تكشف عنه خبايا نفس وعظمة فن هذا الشعب الذى يتهم بانعدام الذوق ؟

چنفياف : كان يذكره بالخير أحيانا . وكان يهوى كثيرا النغمات الثلاث لأغنية بنات الراين وكان يحب تعلقكم بألمانيا . كان يقول انه ينقص ألمانيا فى هذا القرن الذى لمعت فيه ، أن تقلل من كبريائها وتنظر الى الحياة فى بساطة . وبدلا من أن تصدر عن غرائزها ونداء تربتها وماضيها ، نراها تزعم أنها قد صنعت من نفسها نموذجا جبارا يفوق مقدرة البشر بفضل علم متحذلق وأمراء مصابين بمرض العظمة ، وبدلا من أن تصوغ كعادتها صورة جديدة للكرامة الانسانية صاغت صورة للتعالى والبؤس . هذا ما كان يقوله چاك ، وكان يلوم أيضا ألمانيا لتوجيهها الاتهامات للجميع .

سيجفريد : هل كان يقول لك اننا نحن الألمان نتهمها بعدة أشياء أخرى وان الحكم الحقيقى عليها انطلق

منها غالبا ؟ هل كشف لك عن الأسباب الحقيقية لهذه الحرب المروعة ؟ هل شرحها لك فى صورتها الحاقدة كما يجب أن يكون الشرح وكأنها انفجار فى قلب يحترق غيظا ؟ هل حدثك عن ذلك العشق المجنون وأعيـاد قران ألمانيا بالعالم وعن حبها شبه الجسدى للعـالم ذلك الحب الذى دفع الألمان الى حب ما يقله هذا العالم من حيـوان ونبات أكثر من أى شعب آخر وأن يملكوا أجمل حدائق الحيوان وأضخم التلسكوبات وأن يكون منهم أجرأ المستكشفين . هل حدثك عن حبهم لما فى نفس هذا العالم من معادن وزيوت ؟ ذلك الحب القوى الذى نشره الألمان فى كل قارة حيث ارتفع فورا دخان الأوز المشوى ومعه أيضـا صوت المسمفونيات . وهل شرح لك صديقك چاك شرحا وافيا هذا الانتشار الذى يشبه هجرة النحل أو النمل أو رحلة عرس ؟

چنفياف : چاك ! أتعرف اسمه ؟

سيجفريد : لقد ذكرته منذ لحظة .. حدثينى عن چاك .. أحب أن أعرف اسمه الكامل . لم أعرف الا القليل من

الرفاق الأجانب . حدثيني عن واحد من مجالي القديم . ما اسمه ؟

چنفياف : فورستييه .

سيجفريد : « فو » أو « فا » ؟

چنفياف : « فو » .

سيجفريد : كيف كان ؟

چنفياف : (مبتسمة) طويلا ، كستنائي الشعر ومبتسما . هذه الكلمات الثلاث المبهمة ترسم صورة واضحة له لدرجة انك ستتعرف عليه اذا كان بين ألف شخص .

سيجفريد : هل معك صورته ؟

چنفياف : (بعد تردد) نعم ، معي .

سيجفريد : في فندقك ؟

چنفياف : كلا ، هنا ..

(يسمع دق جرس . تفتح ايفـــا الباب فجأة) .

ايفا : يطلبك المرشال يا سيجفريد . حالا .

(يغتدر سيجفريد وهو يبتسم ويخرج . تبقى چنفياف بمفردها لحظة مرتبكة ومتجهة الى

الجمهور · يدخل الجنرال دى فونچـــلوا
ببطء من قاع المسرح · صوت مناخس حدائه
يجعل چنڤياڤ تلتفت وراءها) ·

المشهد الثالث

چنڤياڤ ـ الجنرال دى فونچلوا

فونچلوا : وأنا يا چنڤياڤ پرات ، هل تتعرفين علىّ ؟ (تنظر اليه چنڤياڤ وهى صامتة) . ألا ترين فىّ شبها من أسرتك ؟ (تنظر اليه چنڤياڤ) طويل ، أسمر ، فرنسى ، دون لكنة ؟ (أمسكها من يديها بعنف) اذن من أنا ؟

چنڤياڤ : صف ضابط پروسى .

فونچلوا : خطأ ! خطأ ! نبيل فرنسى . (تنظر اليه چنڤياڤ) انى فورستييه آخـر أو سيجفريد آخـر كما تشاءين . ولكنّ سيجفريد استطاع أن يحتفظ باسمه وذاكرته ذاكرة أكيدة . انها سليمة منـذ قرنين ونصف . (يحدث صوتا بخبط كعبيه) چاك دى فونچلوا الذى كان أحد أجداده أول بروتستانتى طرده من فرنسا لويس الرابع عشر وقائد فرقة فرسان الموت .

چنفياف : فرسان الموت ؟ ألا يزالون موجودين ؟

فونچلوا : كان قائدهم . أمـا شفيعتهم فلا تزال تلحظهم بعنايتها .

چنفياف : ان الاثنين معا لا يهمانني في شيء .

فونچلوا : أيقني يا آنستي انه ليس هناك ما يدعو الى خوفك من أحدهما . انى حضرت فقط لأرجوك أن ترحلي دون انتظار عودة سيجفريد . لا داعي للمناقشة . لقد حضرت متأخرة جدا لتأخذيه من ألمانيا ، كما لو كنت تريدين أن تنتزعي منهـا آل فونچلوا .

چنفياف : ان فرنسا تفخر بأن ترى غيرها ينازعها بكل هذه الصلابة ما يسقط من ثمارها .

فونچلوا : يسقط ؟ لم يسقط آل فونچلوا . انهم طردوا وسرحوا من خدمتهم لفرنسا . لقد تسلم جدي ذات صباح الأمر بمغادرة أراضيه والاقصاء عن مناصبه ومفـارقه عائلته خـلال ثمانية أيام . فلم ينتظر هذه المهلة الحقيرة ورحل لتود . ولكنه لم يكد يعبر الحدود حتى قتل في نفس المساء حارسين من حراس الملك كانا يجولان في المنطقة وكانا في الصباح مواطنين له .

چنفياف : ليست أزمة فقدان الذاكرة هى التى أبقت أحفاده فى ألمانيا .

فونچلوا : أنت عـلى حق . انهـا الذاكرة التى ظلت تعى الاستبداد ومحاكم التفتيش وكراهيـة تحكم موظفيكم المستعبدين وكل هؤلاء الطغاة الذين تعرفون أسماءهم المتتالية فى خضوع حقير .

چنفياف : نعم أعرفهم : « لوبيه » ، « فالبير » ..

فونچلوا : باختصار أقام جدى على الحدود واستقبل كل فرنسى منفى ووجّهه حسب امكانياته الى المدينة البروسية التى كان ينقصها اما موثق عقود أو عمدة أو مسّاح أراضى وقوّى بروسـيا فى نقطها الضعيفة . وبقى مكان شاغر فشغله من يستحقه ولن يرحل قط عنه . وقد كلفت من قبل مجلس الهيئة التى انتمى اليها بأن أبلغك ذلك . سيبقى أو سيموت ..

چنفياف : من جديد ؟

فونچلوا : منذ عشر سنوات ، لم تعد ألمانيا أو فرنسا تتأثر بزيادة أو نقصان رجل . والآن يا آنستى اتبعينى اذا كنت تريدين أن تجنبى سـيجفريد بعض

المصائب . ولدىّ تعليمات بطردك وكذا صديقك المتفقه فى اللغة الذى يحرسه رجالى والذى يشكو بلهجة سكسونية ترجع الى القرن الثالث عشر ليتملقهم وينال مراده .

چنقياف : هل عدد من يشبهونك فى ألمانيا كثير ؟

فونچلوا : لست ألمانيــة لتحبى الاحصــائيات . فى أول أغسطس سنة ١٩١٤ فى الجيش البروسى وحده كنا أربعة عشر لواءا ، واثنين وعشرين عميــدا وثلثمائة ضابطا من سلالة المنفيين أو المهاجرين الفرنسيين . انى أتحدث عن النبلاء . ويوجد أيضا فى الادارة عدد من آل « دوپون » .

چنقياف : لم أكن أتصور ان الحروب الفرنسية الألمانية لها طابع الحرب الأهلية .

فونچلوا : حرب أهلية ! منذ عهــد لويس الرابع عشر ، لم نذهب قط الى فرنسا الا للغزو . سنعود اليها. ولا أيأس فى أن أعســكر ذات يوم فى قصر فونچلوا الذى لا يزال — فيما أظن — قائما فى ضواحى « تور » .

چنقياف : انه باق .. على طريق « شونونسو » ..

فونچلوا : لا داعى لوصفه .

چنقياف : كل ما فيه ورد و « أرستولوش » وياسمين . وينقصه وجودك .

فونچلوا : أرستولوش [1] ؟ ما معنى هذه الكلمة ؟

چنقياف : كلمة السر التى يتبادلها الفرنسيون فى القرن العشرين .

فونچلوا : لماذا تنظرين الىّ هكذا ؟

چنقياف : أحاول أن أراك عاريا .

فونچلوا : وفاحة فرنسية !

چنقياف : أرجوك . دع قصصك عن المنفيين والمهاجرين لحظة . هذا لم يعد يهم أحدا سواك . انى مثالة يا سيد دى فونچلوا . ان الجسم البشرى هو أنموذجى وكتابى المقدس . وفى الواقع . تحت عباءتك أتعرف على هذا الجسم الذى نحن المثالين لنسبه لراسين و « ماريفو » .. لقد صب قومنا فى قالب الكراهية والجرأة ، واذا سمحت لى أن أتحدث بعنف لأول مرة فى حياتى لأضفت الوحشية .. ان جبهتك وأسنانك الشبيهة

(١) اسم نبات متسلق .

بأسنان الذئب فرنسة تماما ، وحتى خشوتتك فرنسية . ويجب ألا تصر على الاعتقاد بأن وطننا كان دائما رقة ونعومة .. ومع ذلك فانى أشعر نحو القرنين اللذين تجهلهما بحب وعرفان كبير للجميل . فقد كسيا فرنسا ..

(رنين تليفون وطلقة مدفع)

فونچلوا : (وهو يفكر بصوت عال) المدفع أولا . (يذهب الى النافذة فلا يجد شيئا . ثم يتجه الى التليفون) . « الرقابة ؟ أية رقابة ؟ التقدم الاختيارى ؟ أى تقدم اختيارى ؟ الحرب ؟ أية حرب ؟ » .

(طلقة مدفع اخرى . وبينما يتكلم فونچلوا، يدخل الجنرال فون ڤالدورف والجنرال ليدنچيه . يلبسان معاطف طويلة) .

المشهد الرابع

چنفياف ـ الجنرال دى فونچلوا ـ الجنرال فون ڤالدورف (قائد المشاة) ـ الجنرال ليدنچيه (قائد المدفعية) .

ڤالدورف : ليست الحرب بل الثورة يا فونچلوا .

فونچلوا : الشيوعيون ؟

ڤالدورف : كلا : انه زلتين .

فونجلوا : أنت تمزح !

فالدورف : استولى زلتين بالقوة على مقر الحكومة والسلطة.

ليدنچيه : السلطة ؟ تعبير مجازى . انى أتساءل أين يمكن أن توجد سلطة فى هذه الآونة فى بلادنا .

فالدورف : دعنا من النكات يا ليدنچيه ! انه قادر على ايداعنا فى السجن وأسماؤنا مدرجة فى القائمة . لدىّ فى الخارج سيارة مأمونة . فبمجرد أن يتصل سيجفريد تليفونيا ببرلين ، نرحل الى «كوبورج» حيث تعسكر فرقتى ونهجهم فى هذا المساء نفسه .

فونجلوا : ولكن أية فرق يمكن أن تكون لدى زلتين ؟

ليدنچيه : الفرق التى توجد فيما يسمى بالثورات التحررية . الشرطة وحرس المدن ورجال المطافىء وجميع المكلفين بالمحافظة على النظام بالاضافة فى هذه المرة الى جم غفير من مدمنى المخدرات وأنصار الفن التكعيبى .

فالدورف : أرجوك يا ليدنچيه . ان من يقربون فى أركان حرب معينة لديهم دائما اتجاه لا يحتمل نحو الاستهانة بالأحداث الخطيرة وكأنها مهزلة مسرحية !

ليدنچيه : ولكن عفوا يا ڤالدورف ، ان الأمر لا يتعلق الآن بأركان حرب !

ڤالدورف : انه يتعلق بها دائما .

ليدنچيه : يتعذر علىّ متابعة حديثك .

ڤالدورف : كثيرا ما كان يحدث لك ذلك فى المدفعية حتى مع المشاة من أمثالى . ان ما أريد أن أقوله لك يا ليدنچيه هو أننا ما كنا لنضطر الى وجودنا هنا لو أنه كان بجيشنا فى أوقات الشدة رئيس أركان حرب آخر يختلف عن ذلك الذى ورثت عنه ملكة التنكيت .

ليدنچيه : ما هى الرذيلة التى نقمت عليه بسببها ؟

ڤالدورف : رذيلته : انه كان لديه تعريف خاطىء للحرب . فالحرب ليست مسألة خطط وذخيرة أو جرأة بل هى قبل كل شىء تعريف يحددها كمعادلة كيماوية تعرضها للنجاح أو الفشل .

ليدنچيه : هذا رأيى يا ڤالدورف وقد صح بالدليل تعريف أستاذى . فهو الذى أنقذ فردريك من الروس ولويزة من نابليون . انى أذكر هذا التعريف وأنا فى موقف الانتباه : ان الحرب هى الأمة .

(يقف انتباه فتكشف تحيته عن زيه العسكرى)

فالدورف : هذا هو التعريف الذى خسرنا به الحرب ! .. وماذا تعنى بالأمة ؟ هل أظن انك تعنى بها ذلك الخليط من رجال مدفعية « پوتسدام » والمصورين الهزليين بالجرائد الاشتراكية وفرسان الموت ومقاولى دور السينما وأمرائنا ويهودنا ؟

ليدنچيه : بل أعنى هؤلاء الذين يفكرون ويعملون ويشعرون فى الأمة .

فالدورف : تعريفك ؟ انه زج لأركان الحرب العظيم مع الطبقات الدنيا فى البلاد ؛ وما يدعو اليه هو جعل اعلان الحرب حقا ديمقراطيا واعطاء كل ألمانى حق الاقتراع عليها . وبهذا التملق ، نجحتم فى جر الأمة كلها الى ادارة عملية كان ينبغى أن تبقى بين أيدينا ؛ لقد قمتم بحرب سلاحها ستون مليون سهم ولكنكم فقدتم زمامها . وهذا هو خطر الجمعيات العمومية . ومع هذا فأى نجاح لم يكن قد أعده لكم تعريف أستاذى ومدرستى! لقد كانت نصيحة عملية ودرس همة ومثابرة .. الحرب هى السلم ..

(نفس حركة الانتباه كليدنچيه)

فونچلوا : (يتدخل فى الحديث محتدا) أنت مخطىء يا فالدورف . لا شك انى أقدر كل ما عمله أستاذك من أعمال عظيمة بالرغم من أنه كلف ادارة الامدادات بكل ما لا يستحق الذكر من التوافه . انى أقدر أيضا ما يحتويه تعريفك من أمور سليمة ومريحة . وصدقنى أن فكرة تمييز حالة السلم عن حالة الحرب لم يبحثها أبدا أى أركان حرب . ولكنى لا أعرف الا كلمة واحدة معادلة لكلمة الحرب وهى : « الحرب » ، التى تعتبر وحدها المعادل الحقيقى فى كل تعريف والتى يقوم عليها تعريفنا يا فالدورف . هذا التعريف الذى لم يخدع ناخبينا كما لم يخدع « بسمارك » . وهو للمحارب مبدأ خلقى ونصيحة عملية أيضا فى كل وقت وظرف وأعنى به أن الحرب هى الحرب !

(انتباه)

فالدورف : خطأ ! خطأ ! انه تكرار . كما لو كنت تقول ان الجنرال دى فونچلوا هو الجنرال دى فونچلوا .

فونچلوا : بالضبط ! وفى تعريفك هذا لى ، لا يوجد تكرار وأنت نفسك تعرف ذلك بل انك تسمى الشىء بغير حقيقته كما لو اعتبرت القائد النبيه مغفلا ما دام ليس من أركان الحرب الحقيقية .

موك : (عنـد دخـوله) المستشار سيجفريد ينتظر سعادتكم فى مدخل الطابق الأرضى .

ليدنچيه : المشاة أولا .

فالدورف : طبعـا .

(فالدورف يمر أولا)

فونچلوا : (موجها الكلام بعنف لچنفياف) السكوت هو السكوت يا آنستى .

چنفياف : والموت هو الموت دون شك ؟

فونچلوا : تماما . (يخرجون) .

المشهد الخامس

چنفياف ـ سيجفريد

طوال المشهد ، تبدو چنفياف قلقة جدا وهى تنظر بحركة غير ارادية نحو قاع المسرح حيث يظهر فونچلوا بين حين وآخر .

(يفتح سيجفريد الباب وهو يملابس السفر ويدخل ببطء)

چنفياف : هل نسيت شيئا ؟

سيجفريد : ألست أبدو كمن تعمد نسيان شيء على غرار من يترك مظلته عمدا ليتعلل بها للرجوع ثانية ؟

چنفياف : ان الجليد يتساقط ولا أعرف شيئا يقي منه .

سيجفريد : كان تنبؤك صحيحا . فقد انفجرت الثورة . لقد حطم مستقبلي بضربة واحدة حواجزه وأخيرا ابتعد للمرة الأولى عن الماضي .. لا تحقدي عليّ لأني نسيت هنا عمدا شجاعتي وثقتي وارادتي لأراك من جديد .

چنفياف : نسيان ثلاث مظلات دفعة واحدة . انك تتقن تصريف الأمور !

سيجفريد : (وقد جلس أمامها وأخذ يتأمل فيها) أراك من جديد !

چنفياف : هل تغيرت كثيرا منذ ربع ساعة ؟

سيجفريد : انى أرى الآن فيك مالم أكن قد رأيته من قبل ، مالم أره فى أى شخص ، هذه الشفاة الحزينة التى تزيل الحزن بالابتسام ، هذه الجبهة المنكسة لتتقى الضوء وكأنها جبهة كبش يناطح كبشا آخر . كل هذا أراه من جديد ! .. حدثيني ..

(يدوى المدفع)

چنقياف : ان أصواتا أعظم تنادبك .

سيجفريد : تنادينى ؟

چنقياف : (وقد انعطفت قليلا نحو النافذة ومدت له يدها) ان الجليد يتساقط . ارحل بسرعة !

سيجفريد : أيتها الأيدى الرقيقة ، ماذا تلمسين لتكونى رقيقة الى هذا الحد ؟

چنقياف : التراب ، الطين : انى مثالة .

سيجفريد : (وقد عاد الى كلمة چنقياف السابقة) ان الجليد يتساقط وكأن القدر يعتذر منذ فترة باحاطته الثورات بطبقة منه . جليد فى موسكو و « بوداپست » وميونخ . الجليد دائما . وفى الجليد يغسل « بيلاطس » يديه الآن . كل سكسونى يمشى اليوم ساكنا سكون الموت . لابد أن طبقة الجليد سميكة جدا حتى انى لا أسمع قط من هنا مهاميز قوادى الثلاث .

چنقياف : انهم ينتظرونك .. وداعا .

سيجفريد : (وهو يقترب منها) لماذا لا أستطيع أن أجيبك ؟

چنقياف : هل وجهت اليك سؤالا ؟

سيجفريد : كل ما فيك يسأل ؛ فليس فمك وحديثك هما

اللذان ينمـان عن الســـؤال ولكن هدوءك وبساطتك أسئلة . ثوبك سؤال . أريد أن أراك نائمة .. أى سؤال ملحّ يجب أن يكون نومك!.. ولا يمكن الاجابة السديدة على ذلك الا بالاباحة بسر لا أملكه .

چنفياف : وداعا .

سيجفريد : ومع ذلك ربما يكون لدىّ سر . لا شك أنه أخف الأسرار التى يحتفظ بها مخلوق فى العالم .

چنفياف : لا تقله لى .

سيجفريد : حتى هذا التحريم سؤال عندك .. ها هو سرى ما دمت تطلبينه . انه لا شىء .. ولكنه الذرة الباقية من الماضى التى يجهلها الى الآن أصدقائى وايفا وزعيم الرايخ وكل من الستين مليونا من الألمانيين .. انها لا شىء .. انها كلمة ..

چنفياف : وداعا .

سيجفريد : نعم انى باق .. انها الكلمة الوحيدة بين كل كلمات لغتى اليوم التى يبدو انها تأتى من ماضى . عنـدما أسمعها وسـترين ما اذا كانت تافهة

ومستوجبة للسخرية بينما جميع الكلمات الأخرى ، الأجمل والأكثر حساسية ، لا تدرك الا الكائن الجديد الذى هو أنا اليوم ؛ ان هذه الكلمة تصيب فىّ قلبا وحواسا مجهولة . لا شك انه قلبى القديم . ان الأعمى الذى يضعونه تجاه الشمس يجب أن يحس بهذا الضيق وهذه التعزية ..

چنفياف : أهى اسم علم ؟

سيجفريد : انها ليست اسما . انها صفة بسيطة . لم يستطع شيطان حياتى القديمة الا أن يرمى بها حياتى الجديدة . انها صفة عامة دارجة ولكنها أسرتى وماضىّ وكل ما لا يقبل الذوبان منى . انها الكلمة التى ستلازمنى عند موتى . انها متاعى الوحيد ..

چنفياف : امض انهم قادمون .

سيجفريد : ان أناسا بسطاء يفوهون بها مساء فى الطرقات أحيانا على غير وعى بها . وبالنسبة لى ، يبدو هذا كلعب المشعوذين بالنار . ان أغلب الكتاب

يتجنبونها ولكن لحسن الحظ يستعملها « جوته » زعيم الأدباء فى كل مناسبة . يعيب عليه ذلك النقاد ويأسفون لوجود هذه الفجوات المبتذلة فى مؤلفاته . وأما أنا فانه عندما تتكرر هذه الكلمة يبدو لى اننى أرى جسد « مينيون » [1] من خلال خرقه الممزقة وجسم « هيلين » من تحت ثوبها الأرجوانى . انها الكلمة .. يا الهى كم هى مبتذلة ، ستضحكين .. انها الكلمة الخفيفة جدا علىّ « جذّاب » ، نعم ، جذاب .

چنفياف : انى أضحك .

سيجفريد : كم أحب سماع هذه الكلمة من فمك يا چنفياف

چنفياف : انصرف .

سيجفريد : انى أتوسل اليك ، ألا تحرمينى هذه الملاطفة ، خلال التيه الذى أنا فيه . ربما أكون فى طريقى

---

(١) احدى الشخصيات المؤثرة جدا والمبتكرة التى خلقها جوته فى كتابه المدعو « السيد ويلهلم »

الى الموت وأريد أن أنعم فى هذه الساعة الأخيرة .

(يظهر فونجلوا)

: (وعيناها عالقتان بفونجلوا) ساعة جذابة .

سيجفريد : فى الواقع ان كلمتى هذه لها مؤنث . شكرا ووداعا .

(يسدل الستار)

الفصل الثالث

منظر الفصل الأول مع ادخال بعض التغييرات فى ترتيب الأثاث وتعليق خرائط على الجدران الخ ... تدل على أن القاعة قد استخدمت مركزا لاركان حرب أثناء الثورة . يقوم شرطى ألمانى بالحراسة امام باب مغلق . يسأله جاويش المانى من بعيد وهو يصيح كلمة السر .

المشهد الأول

الجاويش ـ الشرطى

الجاويش : سيج !

الشرطى : فريد ! ان أسيرى هنا يا جاويش .

الجاويش : تعليماتك أولا !

الشرطى : (فى وضع انتباه) تحت أمرك !

الجاويش : حالة حريق .

الشرطى : رقم ٧ ! آخذ الفأس . أقطع الغاز . أخرج النساء !

الجاويش : حالة وضع .

الشرطى : رقم ٢٢ ! أنزع البندقية والحربة . أفكر فى عظمة التناسل . أخرج الرجال .

الجاويش : حالة حرب أهلية .

الشرطى : رقم ١ ! آخذ القنابل الصغيرة والمفرقعات . أفكر فى عظمة السلطة الشرعية . أعمل على اخلاء الشارع من جميع مواطنىّ .

الجاويش : مواطنينا .

الشرطى : مواطنينا .

الجاويش : حسنا . راحة .. اذن ستستبدل بغيرك ؟

الشرطى : كلا يا جاويش . لا استبدال ! كان من حظى أن أقوم بأسر رئيس الثورة .. انى أحرسه حتى النهاية .. لقد وعدوا بمكافأة لمن يأتى برأسه .

الجاويش : لم يطلبوا منك سوى رأسه .. ستضايقهم بالباقى .. أين قبضت عليه ؟

الشرطى : أين تريد أن يقبض على الملوك ؟ فى القصر على سلم الخدم .

الجاويش : كان عليك أن توصله الى القيادة العامة وليس عند سيجفريد .

الشرطى : ليس لدىّ تعليمات عن كيفية القبض على الملوك .. على كل فان هنا القيادة العامة . منذ أمس وجميع الأوامر تخرج من هذا المنزل . ان

زلتين نفسه هو الذى طلب منى أن اقتاده الى سيجفريد . لقد ذكر لى أن لديه اعترافات يريد أن يقولها له .. لقد رفضت أن أطلعه . ان الجانين أسرع الى الاعتراف .

الجاويش : ألم يحاول أن يرشوك ؟

الشرطى : نعم لكى اتصل تليفونيا فى فندق « ريچينا » بمدرسة كندية لتحضر فورا .

الجاويش : هل اتصلت بها ؟

الشرطى : كلا . ها هو الاسم والعنوان .

الجاويش : لقد أخطأت . انها بالتأكيد شريكة فى التآمر . اعطينى الاسم والعنوان . سأكلمها فى هذه اللحظة وسنوقعها فى الفخ . يوجد بكل تأكيد مكافأة لمن يستطيع أن يلقى ضوءا على دور كندا فى الثورات الألمانية .

الشرطى : انتباه .. صاحب السعادة !

الجاويش : اصغ الى التعليمات ! .. حالة رمى محكوم عليه بالاعدام بالرصاص !

الشرطى : رقم ٢ ! أقف على بعد ثمانية أقدام . أفكر فى عظمة الواجب العسكرى . لا أغلق عينى . أطلق حتى على أخى .

الجاويش : أخيك !

الشرطى : أخى !

الجاويش : راحـة !

المشهد الثانى

سيجفريد ـ ايفا

سيجفريد : (موجهـا كلامه للشرطى) أمروك بأن تستريح يا عزيزى . فاسترح .

الشرطى : يستحيل أن أسلك مسلكا آخر أمامك يا صاحب السعادة . هذا أمر طبيعى .

سيجفريد : (موجها كلامه للجاويش) أهذا أمر طبيعى لديك أيضـا ؟

الجاويش : هذه هى الطريقة التى يسـمح بها النظام المتبع للاحتفاء بك يا صاحب السعادة . اننا نحتفى بك.

(سكون)

سيجفريد : ها قد سمعتكما يا عزيزى .. اذهبا جانبا . هل سجينكما يتمتع بصحة جيدة ؟

الشرطى : جيدة جدا يا صاحب السعادة الا أنه جائع .

سيجفريد : احضره لنا بمجرد ما يصل القواد هنا .

الشرطى : لقد طلب أن يحدثكم على انفـراد يا صاحب السعادة لبيوح ببعض الاعترافات .

سيجفريد : سأنتظر القواد ..

(يخرج الشرطة)

ايفا : لا تنتظر القواد يا سيجفريد . اصعد لتستريح . انك لم تنم منذ أمس . انك تكاد تسـقط من الاعيـاء .

سيجفريد : انه تعب مستحب . تعب الذى قام بعمله اليوم خير قيام كالبناء أو الفلاح وليس كهذا الذى يشعر به عادة رجال الدولة أو اللاعب بعد تمضية ليلته فى اللعب ..

ايفا : هيا بنا نصعد . ان غرفتك معدة .

سيجفريد : يبدو انك نسيت انه على أن أستمع الى زلتين .

ايفا : لماذا ؟ لقد تحدد مصيره .

سيجفريد : تحـدد ؟

ايفا : ألم يعقد مجلس الحرب بعـد ظهر اليوم ؟ ألم يحكم عليه القواد بالاعدام ؟

سيجفريد : لقد ألغى مجلس الشيوخ الحكم .

ايفا : مع أنه قد حوكم طبقا للقانون وندب للدفاع عنه أحد المحامين .

سيجفريد : آى محام ؟

ايفا : قونجلوا .

سيجفريد : ألم يحكموا عليه بغير الاعدام ؟ ان مجلس الشيوخ قرر نفيه . انى مكلف بترحيله .

ايفا : انت رئيس دولة ولست ناظر محطة .

سيجفريد : (وهو يقترب منها) أيقلقك أن أرى زلتين ؟

ايفا : ان هذا يثيرنى وأرى من قلة الذوق أن يواجه الغالب المغلوب وان هذا معناه تكريم زلتين . أرى أنه لا يمثل الروح الألمانية القلقة الثائرة التى تغلبت عليها اليوم ، وانما يمثل على أكثر تقدير الفن التكعيبى وبكل تأكيد معاقرة الخمر .

سيجفريد : لن يضعف هذا من قدرته على الحديث ولديه ما يريد أن يقوله لى .

ايفا : أتنتظر منه شيئا آخر غير الشتائم والافتراءات ؟

سيجفريد : كونى متأكدة انه ايا كانت فصاحته فلن يستطيع أن يقنعنى بالرأى الذى كونه عنى .

ايفا : وبخصوص رأيه عن شخصى ؟

سيجفريد : عنك ؟

ايفا : نعم ، عنى . انى أعرف أنه يريد أن يحط من

شأني في نظرك . لقد كان يغار دائما من صداقتنا وتفاهمنا ويعرف كل شيء عن حياتي .

سيجفريد : أهناك ما يجعلك تخشين الاغتياب ؟

ايفا : وهل يعجز الاغتياب عن أن يجد في حياة بلغت الثلاثين ما يقوله !

سيجفريد : الثمانية والعشرين يا ايفا . (يقترب منها وهو يبتسم بالرغم من كل شيء) . لابد من وجود سبب قوى لكى تضحى امرأة بسمعتها فوق تضحيتها بسنتين من عمرها . أنت تكذبين يا صغيرتي ايفا . انى أعرف ماضيك معرفة جيدة بقدر ما أجهل ماضيّ . لا يريد زلتين آن يحدثني عنك ... والا لكنت أقل قلقا .. ما سبب هذا الارتباك ؟ لماذا تكذبين عليّ ؟

(يدخل الجاويش)

ايفا : أتظن أنني أتقن الكذب .

الجاويش : القواد يا صاحب السعادة .

سيجفريد : فليصعدوا على الفور .

(يخرج الجاويش ثم يعود ويدخل القواد)

المشهد الثالث

فالدورف ـ ليدنجيه ـ ايفا ـ سيجفريد ثم زلتين

فالدورف : قيل لنا أنه يجب اعادة محاكمة زلتين يا صاحب السعادة أمام مجلس عسكرى أو محكمة عسكرية . يا أيها الجندى ، يلزم غطاء لهذه المائدة وثلاث محابر اذا انعقد مجلس عسكرى .

سيجفريد : ليس مجلسا عسكريا .

فالدورف : اذا كانت محكمة عسكرية ، يلزم محبرة للرئيس وقلم أزرق للعضو الأول وقلم أحمر للثانى .

سيجفريد : لم تعد قاضيا يا فالدورف . علىّ أن أبلغ زلتين قرار مجلس الشيوخ بنفيه .. انى أفضل أن أبرىء ذمتى بتنفيذ هذه المهمة فى حضورك .. (موجها كلامه الى الشرطى) أدخل سجينك .

(يدخل الشرطى زلتين . يبدو هذا الاخير شاحبا وغير مهندم الثياب . ويشاهد القواد)

زلتين : وا ! وا ! انى قطعا لست مخيفا جدا . ان آخر موجة من الهجوم مكونة من القواد !

فالدورف : اسكت !

زلتين : لا دواء لثرثرة المغلوبين غير القتل . لولا وجود

غالبين ضعفاء ، لتخفف الأدب القديم والحديث من ثلثيه .

الشرطى : اسكت واستمع لقول سعادته .

زلتين : انى أنصت .

سيجفريد : (بلهجة متسمة بالعظمة) سأوجز فى القول يا زلتين . فقد رأى مجلس الشيوخ أنه من الأفضل اعتبارك غير مسئول . واقترحت أن تقضى بقية حياتك فى احدى المصحات . وقد رضى البعض عنك لأنك بفضل شجاعتك هذا الصباح جنبت البلاد وقوع مجازر غير مجدية . انك منفى . سترحل فى هذه اللحظة تحت الحراسة الى باريس اذا أردت .

زلتين : شكرا لاختيار باريس .. بأية صفة كلفوك للقيام بهذه المهمة ؟

لقد تمسكت دائما بالشكليات .. أينبغى أن أناديك سيدى الدكتاتور أو سيدى المحافظ .

سيجفريد : بأبسط صفة ، بصفتى ألمانى .

زلتين : انها ليست صفة بسيطة بل لقبا عظيما غير مباح لكل انسان . أليس كذلك يا ايفا ؟

سيجفريد : ليس للانسة ايفا دخل بيننا .

زلتين : هذا هو ما يخدعك . ان لها دخلا عظيما .

سيجفريد : انى أحرم عليك أن تتفوه بأبسط كلمة ضدها

زلتين : ضدها ؟ ليس لدىّ ما أقوله ضدها . انى على العكس معجب بها لأنها ضحت بشبابها وضميرها لهذا الذى تعتقد أنه ألمانى .

سيجفريد : حسنا . يمكنك أن تنصرف .

زلتين : وا ! كلا ! انى متمسك أن أنصرف متمتعا بفخامة عزلى ما دمت لم أنعم بيوم تتويجى .

سيجفريد : احتفظ بانفعالاتك لحانات باريس التى أخذت فيها عن بلادنا هذه الفكرة المضحكة التى يرثى لهـا .

زلتين : ستوافقنى بعد قليل على اننى أستحق أن أرحل مصحوبا ببعض الحفاوة .. (يوجه كلمة عابرة للشرطى الذى يمنعه من الجلوس) . نعم ، نعم ، أيها الصديق العتيق . (يواصـل حديثـه مع سـيجفريد) يا سـيجفريد بعد سـاعة سأكون قد تركت جـوتا ولكنك سـتخطىء لو اعتقدت انك أنت الذى تطردنى منها أو ألمانيا.

انى لا زلت أعتقد تماما أن الألمان الحقيقيين ما زالوا يحبون الممالك الصغيرة والعواطف الكبيرة . ان الذى يطردنى من وطنى ، ان الذى سبب مقاومة الإمبراطورية ومساندتها لك ، ليست روحك فى البت أو براعة آوامرك : انهما برقيتان موجهتان الى برلين احتجزتهما محطه استقبالى . ها هما . أرجو أن تؤدى لى خدمة بقراءة الأولى يا فالدورف .

فالدورف : (متجها الى سيجفريد) : من «مرجان روكفيلر» الى زعيم الرايخ : اذا بقى زلتين فى جوتا ، سنلغى عقد الفوسفات الصناعى .

زلتين : ها هى الثانية . انها واردة من لندن .

فالدورف : الى السيد « ستين » اذا ظل زلتين فى الحكم ، سنحدث ارتفاعا فى سعر المارك .

زلتين : وهذا هو كل شىء .. هذان هما التهديدان اللذان يشبهان الحرمان فيما مضى واللذان أثارا ضدى حزب الوسط والكاثوليك . الفوسفات الصناعى هو الذى جعلنا نركع بعد أن قاومنا .. انى لم أحتجز اذاعات كهذه : اذا أصبح زلتين رئيسا ، سيبطل الموسيقيون الألمان سمفونيات بتهوفين ..

اذا أصبح زلتين وصيا ، سيعجز الفلاسفة الألمان من الآن فصاعدا عن تعريف المطلق من مبادىء الأخلاق الآمرة .. اذا أصبح زلتين ملكا سترفض التلميذات الألمانيات قطف ثمار الكريز وهن يستمعن الى تغريد الشحرور .. ولكنى لا ألح . لقد بذلت آخر مجهود لأحول دون أن تصبح ألمانيا شركة مساهمة ولكنى فشلت : اذن فليهدأ الراين تحت الزيت المعدنى بعد أن هاج لحظة .. والآن يا سيجفريد فلنتحدث سويا . أبعد هؤلاء القواد .

سيجفريد : كلا . انهم شهودى .

زلتين : فعلا . انهم بأوشحتهم يبدون كأنهم حضروا لاثبات حالة وليمسكوا بى فى حالة تلبس بالزنا مع ألمانيا . نعم ، اننى رقدت معها يا سيجفريد . لا زلت متعطرا بأريجها ، بكل رائحة الغبار والورد والدم الذى تسفكه بمجرد أن يلمس ولو أصغر عروشها .. أبعد هؤلاء العسكريين . أريد أن أحدثك على انفراد .

سيجفريد : لا أرغب ولا أملك الحق فى أن أتحدث معك حديثا جانبيا .

زلتين : فليبقوا اذن . سيكون ذلك شرا عليك . فطبقا للقاعدة ، فى كل مرة يستعد القدر لصب نكباته على ناحية ما من الأرض يزحمها بذوى الأردية العسكرية صناع الموت والدمار . هـذه هى طريقته فى القضاء ..

ڤالدورف : اننا ضباط عظام يا زلتين .

ليدنچيه : هل لى أن أنهى هذه المهزلة يا صاحب السعادة ؟

زلتين : انظر الى وجه ايڤا يا ليدنچيه وسترى اننا لا نهزل . هذه الشفاه الشاحبة وجبهة البطلة المجعدة وهاتان اليدان اللتان تضغطان بعضهما دون محبة وكأنهما يدان غريبتان ، بهذا يمكن الاستدلال على المأساة . بل انها اللحظة التى يسكت فيها عمال المناظر فى المسرح والتى ينخفض فيها صوت الملقن والتى يعرف فيها النظارة كل شىء بطبيعة الحال عن محنة «أوديب» و « عطيل » ، ومع ذلك يرتعدون عند معرفة ما كانوا يعلمونه منذ الأزل .. انى أتحدث عن النظارة من غير العسكريين لأنك لم تتنبأ بأى شىء . أليس كذلك يا ڤالدورف ؟

ثالدورف : ناد الحرس يا ليدنچيه !

سيجفريد : (وهو يتقدم) كلا . فليتكلم !

زلتين : (وهو يتجه نحو سيجفريد) لقد تنبأ ..

ايفا : لا تنصت اليه يا سيجفريد . انه يكذب !

زلتين : لقد تنبأ . انه يشعر أن الأمر يتعلق بشخصه . ان الغرابين اللذين رفرفا فوق رأس سيجفريد الحقيقى ، يحلقان فى هذه اللحظة فوق اجابته ..

سيجفريد : (وهو قريب من زلتين وبصوت مكبوت وسريع) جنبنا الاستعارات . تكلم .

زلتين : اعذرنى . يجب الالمان الاستعارات ولكنى سأتجنبها معك من الآن فصاعدا .

سيجفريد : أيتعلق الأمر بى أنا سيجفريد ؟

زلتين : ليس بسيجفريد بل بك .

سيجفريد : بماضىّ ؟

زلتين : بماضيك .

سيجفريد : أية فرية سيحيكها الحقد عليك ؟

زلتين : انى لا أحقد عليك . يحتفظ السياسيون بحقدهم الحقيقى لمواطنيهم .

سيجفريد : هل اكتشفت لقب عائلتى ؟

زلتين : ليس اسمك وليست عائلتك .. ان التلميحات اللبقة التى أسرف فيها منذ لحظة لابد أنها أوضحت لك الطريق . لقد اكتشفت ما كنت أتوهمه منذ أمد بعيد . اكتشفت أن من يحكم عقله ويتحدث بذكائه ويتدبر بحكمة ليس ألمانيا .

سيجفريد : انى لا أصدق كلمة واحدة مما تقوله لى يا زلتين.

زلتين : هذا لا يدهشنى . ما أسوأ حالتى .

سيجفريد : هل يجب أن نجبرك على الكلام ؟

زلتين : على الكلام ؟ ولكنى قد تكلمت وانى لن أزيد كلمة على ما قلت . انى متمسك بأن أعبر الحدود حيا . وعلى كل فقد استنفدت وسائلى . وعلى ايڤا أن تواصل هذا المشهد .

ايڤا : انى أحتقرك يا زلتين .

زلتين : انه أول شعور تثيره دائما الحقيقة يا ايڤا . ستكونين أقوى منى اذا لم تكونى موضع الاحتقار بعد قليل .

ايڤا : انى لا أعرف شيئا عما يتحدث عنه ، يا سيجفريد!

زلتين : ايڤا تعرف كل شىء يا سيجفريد . عما يتعلق بوصولك الى عيادتها واللهجة الخاصة لأنينك

واللوحة التى كنت تحملها على ذراعك والخاصة بجيش أجنبى ، يمكنهـــا أن تشـــرح لك كل التفاصيل . انى لم أذكر أبدا الحقيقة الا مجملة.

ليدنچيه : (للشرطى) قد هذا المجنون .

زلتين : (ملتفتا الى الباب خلفه) آه ! سيجفريد ! انه من المؤسف ألا تحب الاستعارات ولا المرافعات . سأقول لك مثـــل الثعلب الذى ولج الى مجمع الطيور والذى وجد نفسه فجأة وحيـــدا وقد انكشف أمره عنـــدما طارت الطيـــور . بدأت الأجنحة تنفتح قليلا يا سيجفريد وحمل الهواء الزغب . ان الطير « جوته » والطير « فاجنير » والطير « بسمارك » رفعوا الآن عنقهم فتكفى حركة واحدة من ايثا ليرحلوا .

الشرطى : الى الطريق .

زلتين : أتمارس الرياضة أيها الشرطى ؟

الشرطى : انى أمارس ما ينم عن عظمة الشرطة وعظمة ألمانيا.

زلتين : حقا . أنت تمارس الملاكمة . وقد شاهدت منذ قليل مثلا جميلا لضربة قاضية مزدوجة .

(يخرجان)

سيجفريد : (دون أن يبدو عليه أى تأثير) يا سادتى ، لقد انتهت الهزلية . فليعد كل الى مكانه . أما أنا فسأبقى هنا . ستحضرون لتوقفونى على سير الأمور ولاستشارتى اذا دعا الأمر .

ليد نچيه : هل لى أن أسأل يا صاحب السعادة عما ينبغى أن تعزفه موسيقى فرقنا عند دخولها المدينة ؟

سيجفريد : سؤال غريب .. نشيدنا ! .. النشيد الألمانى ! ..

(يتجه سيجفريد نحو ايفا ويمسك بيديها وينظر اليها طويلا وبجفاء)

المشهد الرابع

سيجفريد ـ ايفا

سيجفريد : أأنا ألمانى يا ايفا ؟

ايفا : ماذا تقول ؟ ألمانى ؟

سيجفريد : أأنا ألمانى يا ايفا ؟

ايفا : استطيع أن أجيبك ومن أعماق نفسى : نعم يا سيجفريد . انك ألمانى عظيم !

سيجفريد : توجد بعض الكلمات التى لا تتحمل الصفات . اذهبى وقولى لميت انه ميت عظيم .. أأنا ألمانى يا ايفا ؟

(هتافات فى الخارج وأنغام الأبواق)

ايفا : كل هؤلاء قد أجابوك !

سيجفريد : دورك الآن . أكنت ألمانيا عندما حنـوت علىّ وأنقذتينى ؟

ايفا : لقد طلبت منى بعض الماء بالألمانية .

سيجفريد : كل جندى كان يذهب للهجوم كان يعرف اسم الماء فى جميع لغات الأعداء .. هل كان لى لهجة خاصة عند طلبى هذا الماء ؟ سبق أن قلت لى انك كنت تتعـرفين على بلـد واقليم الجـرحى من تأوهاتهم . لم أقتصر على طلب الماء ، انى تأوهت!

ايفا : كنت الشجاعة نفسها . (يتجه سيجفريد نحـو الباب) . ماذا تعمل يا سيجفريد ؟

سيجفريد : أريد أن أنادى . أنادى الجمع وأعلن حقيقتى .

ايفا : سيجفريد !

سيجفريد : (وقد عاد نحوها) انى أجيب على هذا الاسم لآخر مرة ..

ايفا : عنـدما كنت دون ذاكـرة ، دون وعى ودون ماض — نعم أنت محق ويمكننى أن أقول لك ذلك اليوم ، اذ أن مصيرك قد حدده الانتصار

الى الأبد — عندما كنت لا تعرف أية لغة ولا تقوم الا بما تراه من حركات حيوان جريح ؛ ربما لم تكن ألمانيا .

سيجفريد : ماذا كنت ؟

ايفا : لم أعرف أنا ولا رئيس الأطباء ذلك .

سيجفريد : أتقسمين على ذلك ؟

ايفا : انى أقسم .

(يدخل الجاويش)

الجاويش : الآنسة چنڤياف پرات .

سيجفريد : انصرفى .

(تخرج ايفا ببطء)

المشهد الخامس

چنڤياف ـ سيجفريد

چنڤياف : أهو زلتين الذى التقيت به بين هؤلاء العسكريين؟

سيجفريد : نعم ، انه زلتين .

چنڤياف : هل سيقتل رميا بالرصاص ؟

سيجفريد : اطمئنى ، سيوصلونه الى القطار المسافر الى بلده الحقيقى .

چنقياف : بلده الحقيقى ؟

سيجفريد : نعم ، عنـد تقاطع شارع « مونمارتر » وشارع « مونپارناس » .

چنقياف : ذلك مستحيل ...

سيجفريد : لا تشكى فى ذلك ...

چنقياف : كنت أتحدث عن هـذين الشارعين .. انهما متوازيان يا سيدى المستشار ، أحدهما فى أقصى الشمال والآخر فى أقصى الجنوب . وانه لقليل الاحتمـال أن يكوّنا أبدا تقاطعا .. (أخـذت تتقدم) . ينبغى أن تحضر ذات يوم الى باريس لترى أية شوارع تلتقى أو تفترق فيها . لمـاذا ناديت علىّ ؟ ألأجل الدرس ؟

سيجفريد : الدرس ؟

چنقياف : تبدو متعبا .. اجلس . يا لها من دار بلدية جميلة! انها ترجع الى سنة ١٥٧٤ ، أليس كذلك ؟ تبدو أنها أقدم بكثير من برج الأجراس الذى يرجع تاريخه الى سنة ١٥٧٥ !

سيجفريد : يا له من علم!

چنقياف : علم حديث العهد . منذ رأيتك بالأمس ، وددت

معرفة كل ما يتعلق بتاريخ وحياة هـذه البلاد وكذا هذه المدينة .. كنت أفكر أن أطلب منك فى مقابل دروس اللغة الفرنسية دروسا فى اللغة الألمانية وعن ألمانيا . انى لدىّ النية أن أبقى هنا وأن أدرس مع أحد مثاليك وأن يكون عندى فتاة ألمانية صغيرة كنموذج للنحت ، وأن أراك كثيرا اذا أحببت زيارتى .. وبعد بضعة شهور أستطيع أن أحدثك بلغتك اذا أمكننى ذلك .. أيسهل على الأجنبى سرعة تعلم اللغة الألمانية ؟

سيجفريد : لقد أمضيت فى ذلك ستة شهور .

(تنظر اليه چنڤياف وهى مندهشة • تعزف الموسيقى فى الغناء النشيد الألمانى) •

چنڤياف : ماذا يعزفون هناك ؟

سيجفريد : انه النشيد الألمانىّ .

چنڤياف : ألا يقفون عند الاستماع اليه ؟

سيجفريد : يقفون .. الا اذا أنهكهم التعب وقهرتهم الحياة أو كانوا أجانب . (تقف چنڤياف) أتقفين ؟ أأنت الى هذا الحد مسيطرة على الحياة ؟

چنڤياف : انى أحيى باحترام نشيد بلاد الموسيقى .. لأنى

أفكر أيضا فى الاهتمام بالموسيقى وأن أصبح موسيقية مثل كل منكم .. أهذا يمكن تعلمه ؟

سيجفريد : لقد اضطررت أن أستفيد من ظاهرة عامة . ولذلك أيضا ، أمضيت ستة شهور .

(سكوت)

چنفياف : كم تصبح اللغة الفرنسية غامضة عندما يتحدث بها ألمانى . بم تشعر ؟ لقد رأيتك تمر منذ حين وسط الجمع . كانوا معجبين بصحتك وقوتك .

سيجفريد : لا يجلب اسم سيجفريد بالتأكيد حظا فى هـذه البلاد يا چنفياف . ان هذا الجسم المملوء صحة وقوة هو جسم ألمانى يموت .

چنفياف : (منزعجة) ماذا تقول ؟

سيجفريد : لقد اعترفت لى بذلك ايفا . لقد خدعونى . لست ألمانيـا .

(تقف چنفياف)

چنفياف : أنت تتألم !

سيجفريد : انه نوع من الموت لا يتم دون ألم ... فهـؤلاء الذين يملكون عائلة ومنزلا وذاكـرة ، ربمـا لا يؤلمهم كثيرا حرمانهم من وطنهـم .. ولكن

بالنسبة لى كانت ألمانيا هى عائلتى ومنزلى وذاكرتى . ففى خفية عنى ولفصلى عن العدم ، لم يستطع ممرضى أن يدسوا فى نفسى سواها ولكنهم دسوها كاملة ! كان تاريخها هو شبابى الوحيد وأمجادها وهزائمها وأبطالها هم ذكرياتى الوحيدة . هذا كان يهبنى ماضيا براقا كنت أعتقد أنه يستطيع أن يضىء هذه الحشرة الهلامية الكثيفة التى هى طفولتى .. كل هذا ينطفىء .

چنفياف : يا صديقى العزيز !

سيجفريد : كل هذا ينطفىء .. انى لا أخشى الليل .. انى أخاف من هذا الكائن المظلم الذى ينقضنى ويأخذ صورتى ، ثم لا يلبث أن يغرق فى الظلام كلما يحاول أن يتحرك فى نفسى .. انى لا أجرؤ أن أفكر .

چنفياف : لا تبقى هكذا . انظر الىّ . ارفع رأسك .

سيجفريد : انى لا أجرؤ أن أتحرك . وسيتحول الى تراب كل هذا الكيان الذى لا زلت أحمله فى داخل نفسى عندما تبدر منى أول حركة .. فكرى

يا جنفياف فيما لا بد أن يشعر به صبى فى السابعة من عمره عندما يتنكر له عظماء الرجال والمدن والانهار ويديرون له ظهورهم فجأة . لم أعد ألمانيا . كم هو بسيط . يكفى لتغيير كل شىء . لم تعد أيام انتصاراتى هى « سودون » و « صادوا »[1] . لم يعد يوجد فى علم بلادى خطوط أفقية . لا شك أن الشرق والغرب سيتبدلان حولى .. ومن كنت أعتقد أنهم مثال الأمانة العظمى والشرف ربما يصبحون بالنسبة لى مثال الخيانة والقظاظة .

جنفياف : تستطيع نصف الكائنات البشرية أن تغير دون ألم الاسم والدولة ؛ وهؤلاء هم كل النساء ..

سيجفريد : ان هذه الضوضاء وهذا الطنين اللذين تسمعهما أذنى صادران عن ستين مليون نسمة وعن الملايين من أسلافهم وأحفادهم ، سيوليان عنى كما قال زلتين منذ قليل . يكفى أن أفكر فى أحد هؤلاء الرجال العظماء الذين آعززتهم كثيرا ليطير عنى بضربة جناح .

(١) شاهدت هاتان المدينتان انتصارات المانية رائعة .

چنفياف : اذا كانوا حقا عظماء ، ستراهم من وطنك الجديد .

سيجفريد : وطنى الجديد ! آه ! لماذا لم تحن ايفا أكثر على الجريح ، على السمكة المسكينة التى انتزعت من مائها والتى لم تكن الا أنا ؟ لماذا لم تدعنى أكرر هذه الكلمة : ماء ؟ لماذا لم تجبرنى على أن أقولها وأكررها حتى ولو بفرضها علىّ عطشا أقسى حتى تتأكد من نبرة النطق التى تميزها وحتى تبين ما كنت أفكر فيه وأنا أنطقها . وهل هو بحر أزرق أم سيول أم بحيرة أم مستنقعات . بأى عطش دائم حكمت على ايفا باستعجالها هكذا ! اننى أبغضها .

چنفياف : اعتقدت أنها تحسن صنعا . كنت عظيما الى حد كبير فى عينيها . لقد منحتك ما كانت تعتقد أنه أجمل وطن ... لم يكن لديها الخيار .

سيجفريد : انه لدىّ الآن .

(يدخل الجاويش)

المشهد السادس

نفس الشخصين ـ الجاويش

الجاويش : توقيعك يا صاحب السعادة ؟ (يوقع سيجفريد دون أن يقرأ) الا تقرأ سعادتك ؟ انه حكم باعدام الاجانب ...

سيجفريد : الأجانب ؟

الجاويش : الثوار غير الالمان الذين يقبض عليهم وهم يحملون السلاح فى أيديهم .

سيجفريد : هل هم هؤلاء الرجال المقيدون الذين مرت أمامهم الآن ؟

الجاويش : نعم ، فى صف تجاه الحائط .

سيجفريد : أهم روس ؟

الجاويش : كان بينهم روسى . ولكن جميع دول اوروبا كانت ممثلة فيهم . حقا لقد كان هذا ما نطلق عليه الحصاد المتنوع حصيلة هجوم خاطف .

(سكوت)

سيجفريد : لقد حصلوا على توقيعى بالخداع . أيها الجاويش ، أخبرهم بألا يعتبروه صحيحا . ان تنفيذ مثل هذا الأمر من اختصاص المجلس العسكرى .

الجاويش : لقد سبق السيف العزل يا صاحب السعادة . انه توقيع شكلي . ولقد أعدموا رميا بالرصاص .

سيجفريد : جميعا ؟

الجاويش : جميعا . ها هي صورة الامر يا صاحب السعادة .

(يخرج . فترة سكوت طويل)

سيجفريد : ماذا تقولين يا چنفياف ؟

چنفياف : عم تسأل ؟

سيجفريد : عن بدء حياتي الثالثة . لا شك انني قمت بالتوقيع على اعدام أحد ذوي .

(تقترب منه چنفياف ببطء)

چنفياف : أرني هذه القائمة .

سيجفريد : ها هي .

چنفياف : (بعد أن أتمت قراءتها تتجه نحو سيجفريد) كلا يا صديقي !

سيجفريد : على من تجيبين ؟

چنفياف : لا . أقول بوضوح لا . لم توقع على اعدام أحد من ذويك .

سيجفريد : ماذا تريدين أن تقولي ؟

چنفياف : آه ! يخطىء القدر عندما يأتمن امرأة على

اسراره . لا أستطيع السكوت اكثر من ذلك . فليكن ما يكون . آه ! لا تلمنى اذا افضيت اليك تباعا بالجمل الثلاث التى تحرق شفتى منذ أن رأيتك والتى منعنى من التفوه بها خوفى على حياتك ... ربما يوجد لها ترتيب يجب البحث عنه ، تدرج يجعلها طبيعية وغير مؤذية ولكن ما هو ؟ ها هى ، أقولها مرة واحدة : لا ، لم تقتل مواطنـــا . أنت خطيبى چاك فورســتييه . أنت فرنسى .

(اقتربت ايڤا ودخلت بينما كانت چنڤياف تنطق آخر كلماتها)

المشهد السابع

چنڤياف ــ ايڤا ــ سيجفريد

ايڤا : سيجفريد ! (يحول سيجفريد رأسه نحوها .) انتى انا يا سيجفريد (يقوم سيجفريد بحركة تنم عن الملل) .

اذا كان جعلك مواطنـــا لى يعـــد جريمة فعفوا يا سيجفريد (حركة مبهمة من سيجفريد) ، واذا كان التقاطى لصبى مهمل يرتعد على باب المانيا

وكساؤه بلطفها وتغذيته بقوتها بعد جريمة فعفوا .

سيجفريد : حسنا ... دعيني .

ايفا : جميع القوانين كانت تهبك لنا يا سيجفريد : التبني ، الصداقة ، الحنان ... سهرت عليك أسبوعين صباحا ومساء قبل أن تعود الى وعيك ... لم تأت من بلد آخر بل جئت من العدم ...

سيجفريد : هذا البلد له سحره .

ايفا : لو كنت أعرف ان القدر سيعيدك الى وطنك لما جعلتك مواطنا لي ... اني عرفت الحقيقة أمس فقط ، وكذبت عليك اليوم فقط . لقد اخطأت. كان ينبغي على أن أبوح لك بكل شيء لان هذا الاعتراف لا يغير شيئا .

سيجفريد : حسنا يا ايفا ، وداعا .

ايفا : لماذا وداعا ؟ أظن أنك ستبقى معنا ؟

سيجفريد : معكم ؟

ايفا : لن تفارقنا ؟ لن تتركنا ؟

سيجفريد : من أنتم ؟

ايفا : نحن جميعا ، فالدروف وليدنچيه وآلاف

الشبان الذين صحبوك منذ قليل حتى هنا ، جميع الذين يؤمنون بك : ألمانيا !

سيجفريد : دعيني يا ايڤا .

ايڤا : لم اعتد ان أتركك عندما يصيبك جرح .

سيجفريد : الى اين تريدين ان تصلى ؟

ايڤا : الى قلبك الحقيقى ، الى ضميرك . أنصت الىّ لقد سبقتك بيوم لأعرف نفسى فى هذا الضباب . سترى غدا كيف أن كل شىء سيصير واضحا فى نفسك . ان واجبك هنا . منذ سبع سنوات . لم يكن هناك دليل أو اشارة تنم عن ماضيك . لا يوجد فيك الا كل جديد ، ليست هناك نزعة تحاول أن تعيدك الى الماضى الذى فقدته . ان جميع الروابط قد زالت ... ما قولك يا آنسة ؟

چنڤياف : أنا سأصمت .

ايڤا : لا يبدو عليك ذلك . ان سكوتك يعلو على أصواتنا .

چنڤياف : لكل منا أسلوبه .

ايڤا : التمس أن تتنازلى وتنظرى نحوى فكلتانا تكافح . كفى عينيك تحديق أمامك دون أن تبصرى شيئا .

چنفياف : لكل حركاته .

ايفا : بأى حق انت هنا ؟ من ذا الذى استدعاك الى هذا البلد الذى ليس لك ما تعملينه فيه ؟

چنفياف : ألمانى .

ايفا : زلتين ؟

چنفياف : زلتين .

ايفا : زلتين خائن لألمانيا . انت ترى يا سيجفريد . ان هذه المؤامرة لم يكن هدفها اصلاح خطأ الماضى ولكن انتزاعك من البلد الذى أنت معقد أمله والذى منحك ما لم يمنحه دائما لملوكه : السلطة والتبجيـــل .

سيجفريد : ما ترفضه نفسى الآن ... أرجوكما أن تتركانى وحيدا ...

ايفا : كلا يا سيجفريد .

چنفياف : لماذا يا چاك .

ايفا : اختر أحد الاسمين .

چنفياف : ان الاختيار لسوء الحظ ليس بين اسمين . ولكن بين حياة عظيمة ليست ملكه وبين العدم الذى يتفق مع حالته . سيتردد كل انسان فى ذلك ...

ايفا : عليه أن يختار بين وطن هو عقله ، تحمل أعلامه الحروف الاولى لاسمه وهى متشابكة ، ويمكنه أن يساهم فى انقاذه من فزع مهلك وبين بلاد لم يعد اسمه منقوشا فيها الاعلى الرخام ، حيث يكون عديم الفائدة ، حيث لن تفيد عودته الا صحف الصباح حيث لا ينتظره أحد من الفلاح الى الرئيس ... أليس هذا صحيحا ؟

چنفياف : انه صحيح .

ايفا : لم تعد له عائلة ، أليس كذلك ؟

چنفياف : كلا .

ايفا : لم يكن له أبناء ولا أقارب ؟

چنفياف : كلا .

ايفا : كان فقيرا ؟ لم يكن يملك منزلا فى الريف أو شبرا من التربة الفرنسية ؟

چنفياف : كلا .

ايفا : اين واجبك يا سيجفريد ؟ ستون مليون شخص هنا ينتظرونك . هناك ، لا ينتظرك أحد . أليس كذلك ؟

چنفياف : لا أحد .

ايفا : تعال يا سيجفريد .

چنفياف : نعم . ومع ذلك فهناك واحد ينتظره ... واحد ؟ فى هذا مبالغة ... هناك كائن حى ينتظره ، له قدر ضئيل من الضمير وآخر من التفكير .

ايفا : من .

چنفياف : كلب .

ايفا : كلب ؟

چنفياف : كلبه . ينتظرك كلبك يا چاك .

ايفا : هذا شيء يستوجب الضحك ...

چنفياف : انه يستوجب الضحك أكثر مما تظنين : انه كلب شعره طويل . انه أبيض اللون ومثل جميع كلاب فرنسا البيضاء اسمه « بلاك » . ان بلاك ينتظرك، يا چاك .

ايفا : كفى عن المزاح .

چنفياف : نعم انى اعرف انك تريدين أن أتكلم عن فرنسا ولكنى لا ارى شيئا آخر اقوله لچاك . عظمة المانيا ضد عظمة فرنسا ، انه فى الواقع موضوع شيق للدراما . ولكن هذا يا چاك هو دراما الغد .

ايفا : هل نستطيع معرفة ما هى دراما اليوم ؟

چنفياف : الدراما يا چاك هى اليوم بين الجمع الذى يهلل لك وهذا الكلب وهذه الحياة الصماء التى تأمل فيها . لم أقل الحقيقة عندما قلت انه هو وحده ينتظرك ... ان مصباحك ينتظرك والحروف الأولى لاسمك المطبوعة على ورق خطاباتك تنتظرك وأشجار شارعك وشرابك وملابسك الذى لم يعد يطابق ذوق العصر ومع ذلك احتفظت به دون أن أدرى لذلك سببا ، وفى هذه الخرق البالية ستجد راحتك . فهذا الرداء غير المرئى الذى تنسجه على الكائن الحى طريقة الاكل والمشى والتحية ، وهذا التوافق الرائع فى الطعوم والالوان والروائح الذى نحصل عليه بحواسنا ونحن سفار ؛ كل هذا هو الوطن الصحيح وفيه ما تفتقر اليه .. ولقد أدركت هذا منذ وصولى الى هنا . انى أفهم سبب اضطرابك المستمر . هناك فرق بين العصافير والزنابير والزهور فى هذا البلد وبينها فى بلدك ، فرق فى الطبيعة غير ملموس ولكنك لا تقبله . انك عندما

تلتقى ثانية بحيواناتك وحشراتك ونباتاتك وبالروائح التى تختلف فيها الزهرة عنها فى البلد الآخر ، سيمكنك أن تعيش سعيدا حتى مع ذاكرتك الخالية لأنها هى التى ستشغلها . والخلاصة ان كل شىء ينتظرك فى فرنسا ما عدا الناس . أما هنا فلا يعرفك ولا يهتم بك أحد غير الناس .

ايفا : تستطيع أن تلبس ثانية ملابسك الفرنسية يا سيجفريد . ولن تتخلى عندئذ عن هذه السنوات السبع التى طوقتك بها ألمانيا الا على نحو ما تتخلى عنها شجرة . ان هذا الشخص الذى جمده شتاؤنا التايد سبع مرات ، وهذا الذى أدفأه أحدث وأنشط ربيع فى أوروبا سبع مرات ، صدقنى قد أصبح من الآن فصاعدا مكونا من مادة عديمة الحساسية بالنسبة للمشاعر والأجواء المعتدلة . ولن تعود لك أبدا عاداتك عند جلوسك على واجهات المقاهى . انها توجد مع أشجار زاننا الجبارة ومع أنهارنا الفياضة ومع صخب المناظر والشهوات التى تفسر النفس .

لا يا سيجفريد انك لا تستطيع أن تغير القلب الواسع الذى وهبناه لك بآلة الضبط هـذه ، بهذه الساعة المنبهة التى تدق وتوقظ قبل كل انفعال يمكن أن يثيره فيك قلب فتاة فرنسية . فتخير يا سيجفريد . لا تدع صيحات ذلك الماضى الذى لم تعد تعرفه والذى قد يستلون منه كل أسلحة الملق والدس للقضاء عليك ، تؤثر عليك. ليس الكلب هو الذى وضعته كطعم لك هـذه المرأة فى فرنسا ، بل أنت نفسك ، أنت نفسك كشخص غير معروف ، مجهول ، ضائع الى الأبد. لا تضح بنفسك فى سبيل شبحك .

چنفياف : تخير يا چاك . لقد رأيت كيف كنت على استعداد لأن أخفى كل شىء وأن أنتظر فرصة أقل وقعا بل أنتظر شهورا ، ولكن لم يشأ القدر ذلك . انى أنتظر الحكم .

(يهللون فى الخارج وينصبون أنوار الزينة)

ايفا : احترس يا سيجفريد ! ينتظر أصدقاؤنا عودتى . سيحضرون . سيحاولون أن يجبروك ، أذعن للصداقة . انظر . انصت . انهم ينصبون أنوار

الزينة من أجلك . انهم يهللون لك . استمع الى
صوت هذا الشعب الذى يناديك . ألا يعادل كل
ذلك نباح كلب ؟ .. بين هذا الضوء وذاك الظلام،
بين ألمانيا وبلاك ، أيهما تختار ؟

سيجفريد : ماذا يستطيع الأعمى أن يختاره ؟

(يســـدل الســـتار)

الفصل الرابع

يمثل المنظر محطة على الحدود مقسمة الى قسمين بواسطة لوح للعفش وباب صغير • محطة المانية فخمة ونظيفة كبنك ، محطة فرنسية نموذجية ، يوجد بها موقد وباب حجز واعلانات دون اطار • لازال الوقت ليلا • يقرأ موظف الجمرك صحيفة •

المشهد الأول

موظف الجمرك الفرنسي ـ چنفياف ثم شومان

چنفياف : هل من جديد فى فرنسا يا سيدى موظف الجمرك ؟

پيترى : اليوم ، نعم ... رقى ناظر محطة « بسطيا » الى الدرجة الأولى دون ان ينقل .

چنفياف : كنت أتكلم عن باريس .

پيترى : لا . لم يعين فى باريس فهو لا يبلغ الا الخامسة والخمسين من عمره والا كان مثلا جميلا للتقاعد الاستثنائى .

چنفياف : أستطيع معرفة اسم هذا البطل ؟

پيترى : اسمه پيترى مثلى ولكنه أحسن حظا . فى

السادسة عشرة من عمره ، ساعد امرأة عجوزا في محطة « كان » على عبور السكة : كانت أم « جمبيتا » . ومن ذلك الحين رقى بالاختيار . أما أنا فكان من سوء حظى أن أجد اثنى عشر قدما من قماش الدنتيلا فى حقيبة احدى رئيسات مجلس الشيوخ . (يواصل القراءة) .

چنفياف : سيدى موظف الجمرك ، لماذا جميع موظفى الجمرك فى فرنسا كورسيكيون ؟ ..

پيترى : لأنه لا يوجد من يفهم أن فرنسا جزيرة غير الكورسيكيين .

چنفياف : ولهذا أيضا ميزة كبرى فى تعطير كل الحدود الفرنسية بالثوم .. أهذا الذى تشويه هنا رنجة ؟

پيترى : كلا ، انه قهوتى باللبن .. انك ثرثارة كبيرة يا آنستى .

چنفياف : يرجع ذلك الى أننى كنت بكماء فى هذه الأيام الأخيرة الى حد ما .. ولا أدرى ما اذا كنت موهوبة للحديث خصوصا مع الكورسيكيين أو موظفى الجمرك ، ولكنى فى الواقع أشعر بأنى ثرثارة جدا هذا الصباح .

بيترى : اذا أردت أن تسدى الىّ معروفا ، فلا تنبخترى هكذا على الخط المثالى ؟

چنفياف : على الخط المثالى ؟

بيترى : تعبير فنى فى الجمارك . انه يعنى الحدود .. أنت ترين جيدا هذا الخط الأصفر الذى يشق القاعة ويختفى فى المقصف ودورة المياه ، انه الخط المثالى .

چنفياف : (وهى تبتعد) أهو خطر ؟

بيترى : انى أرى انك لا تعملين ذلك عن عمد ، ولكن طوال النهار يضع جماعة من المعتوهين دون أن يبدو عليهم قدمهم تحت الباب أو يمتطون الخط. ويحضر أحيانا طبيب من برلين لفحصهم ، فيطلق عليهم صفة الشواذ (الساديين) وأنا لا أفهم تماما ما يمكن أن يسببه هذا الشذوذ من لذة . كنت موظف جمرك بميناء « نيس » وأؤكد لك أننى لم أكن أتسلى بغمس قدمى فى البحر .

چنفياف : ربما لا تحب السفر على الماء .

بيترى : حتى ولا على الأرض .. كما ترينني ، لم أذهب قط الى ألمانيا .. ادخلى ما دمت تحملين جواز سفرك واستدفئى .

چنفياف : ألم ينطفىء منذ الليل موقدك ؟

پيترى : ينطفىء ! ليس هذا الفحم من هنا . لدى الجمارك علم بالأمكنة الممتازة التى يمكن الحصول عليه منها . فهم يجلبونه من الجنوب . انه « كرمو » حقيقى .

چنفياف : ألا تفضل التدفئة المركزية كما وضعوها بجوار هذا المكان ؟

پيترى : أتفضليها ، أنت ؟ أتدفئين يديك على مواسير تلك التدفئة ؟ لا تنقضى ساعة على حيوانات المحطة الألمانية ككلب الناظر ولقلق المقصف الا واضطر لأن ألكزها بقدمى فى مؤخرتها كى أطردها الى الناحية الثانية من الخط المثالى ..

چنفياف : اذن فهنا نوعان من التدفئة فى نفس القاعة . لابد أن هذا يشغل بال المسافرين .

پيترى : سيعرف المسافرون أن ألمانيا لديها التدفئة المركزية وفرنسا التدفئة الفردية . وانه يدهشنى أنهم لم يقيموا بجوارها ، التدخين المركزى للمدخنين . وأنا أعلم أن ادارة السكة الحديد تتآمر مع اتحاد اليسينيين والادارة الألمانية لتضع لى مدفئة

مركزية . وحينئذ سأتخلى عن عملى كموظف جمرك فى نفس اليوم الذى يتم فيه تركيب هذه المدفئة .

چنفياف : يا للخسارة . فانه من الشيق أن يعمل الانسان موظفا بالجمرك .

پيترى : انه الى الآن الوسيلة الوحيدة المعروفة ليصبح الشخص ضابطا فى الجمارك .. أتأخذين قطار الساعة الثامنة يا آنستى ؟

چنفياف : أرجو ذلك . اذا وصل شخص أنتظره بقطار جوتا .

پيترى : أمن أجل انتظاره ، أضعت وقتك فى الحديث معى ؟

چنفياف : لم أضع وقتى . لا يمكنك أن تعرف أية قوة حصلت عليها عند سماعى من جديد الحديث عن الترقية بالاختيار والتقاعد الاستثنائى وتدخين سيجار « ما نيليا » وعن الصحن المطبوخ بالثوم . ان هذا عبارة عن نفحة من الأوكسيچين للجسم الفرنسى .

پيترى : لم تتكلم عن سيجار مانيليا .

چنقياف : نعم ، نعم . فهمت ذلك من مجمل الحديث . وعلى أية حال فقد شعرت بالظمأ والجوع عند سماعى الحديث عن المشهيات .

پيترى : لم تتكلم عن هذه المشهيات .

چنقياف : غريب ! لدىّ شعور اننا لم نتكلم الا عن هذا .. نعم ، للمرة الأولى منذ ثلاثة أيام أشعر بجوع واشتياق للعجة المعدة بشحم الخنزير والفراخ المشوية .

پيترى : (مستعفيا) ان المقصف الألمانى مفتوح وبه صنف خاص من كبب لب الخبز المتبلة بالكمون .
(يدخل موظف الجمرك الألمانى وينظف مقعدا من الجلد بسرعة من الغبار) نهارك سعيد يا شومان .

شومان : نهارك سعيد ياپيترى .

پيترى : كنت أعتقد انه من المتفق عليه أن كل واحد منا سينفض الغبار ابتداء من الخط المثالى نحو الخارج ... يمكنك ان تحتفظ بغبارك لأجل بلدك .

شومان : معذرة .

بيترى : من هذان الرجلان اللذان يرتديان المعاطف ويذرعان رصيفك .. اعلم أننى سأفتشهما .. ففى شهر يناير ، يدخل جميع مسافريك عندى لعبا . ولقد ضبطت بالأمس مع احدى راهباتك لعبتين ميكانيكيتين كاملتين . انى متأكد أن هذين الشخصين يحملان معهما النحلات البخارية .

شومان : لا أظن ذلك .. انهما القائدان اللذان أخذا قطارا خاصا للوصول قبل قطار جوتا .. انهما ينتظران احدى الشخصيات . (ترى جنقياف القائدين وهما يمران وتذهب بسرعة نحو المقصف الألمانى حيث تدخل) .

بيترى : يمكنك أن تغلقى الباب الصغير يا آنسة . (يعطس) ان الناس لا يتبينون ضرر تيار الهواء الذى يسببه لموظف الجمرك باب الحدود وهو مفتوح ..

المشهد الثانى

فونچلوا ـ فالدورف

(يفتح شومان الباب للجنرالين فيدخلان)

فالدورف : هل سيمر من هنا ؟

شومان : جميع المسافرين الذين يذهبون الى فرنسا يمرون من هنا يا صاحب السعادة ..

(يدخل قطار الى المحطة) .

ألدى سعادتيكما تعليمات ؟

فالدورف : سنعود الى جوتا فى أول قطار سريع . أحجز لنا أمكنة .

شومان : وهو كذلك يا صاحب السعادة . مكانان .

فالدورف : كلا . ثلاثة .

(يخرج شومان)

فونچلوا : هل يرحل متنكرا يا فالدورف ؟

فالدورف : كلا . ارتدى رداء أسود حدادا على نفسه . قد يبدو ذلك الى حد ما كئيبا على الجليد .

فونچلوا : بلغنى أنه كان قد مزق أوراقا .

فالدورف : ليست أوراقا هامة : بطاقة دخول بالمجان فى المتاحف الألمانية ، تصاريحه للدخول بنصف أجر

فى الأوبرا وللتجديف على البحيرات البقارية . يوجد عدد لا بأس به من الأشياء الجميلة فى الحياة التى يتحتم عليه أن يدفع لها الآن أجرا كاملا .

فونچلوا : ألم يترك أى خطاب ؟

فالدورف : اثنين . أحدهما لمحصل الضرائب : يفيد أنه دفع ما كان مستحقا عليه حتى تاريخ أمس . والآخر للمدينة : يوصى فيه بما يملك لبعض منشآتها . ميت حقيقى يا فونچلوا !

فونچلوا : (وهو يتطلع من الزجاج) ها هو ذا !

(وقفا تجاه الباب)

المشهد الثالث

نفس الشخصيات ـ سيجفريد

(يدخل سيجفريد ويشاهد الجنرالين فيتوقف عن السير)

فالدورف : نهارك سعيد يا صاحب السعادة .

سيجفريد : نهارك سعيد يا فالدورف .. أجئت الى هنا تودعنى ؟

فالدورف : كلا يا صاحب السعادة .

سيجفريد : ألاعادتى الى المحل الذى وجدتنى فيه ألمانيا من قبل ، فى مهدى الألمانى ، فى محطة ؟

فالدورف : كلا يا صاحب السعادة .

سيجفريد : الابقائى والعودة بى معكما ؟

فالدورف : نعـــم .

فونچلوا : (وهو يتقدم قليلا) جئنا نلتمس منك يا سيجفريد العزيز أن تعدل عن قرارك .

سيجفريد : هل طلب الىّ أن أبت فى شىء ؟

فالدورف : فى اختيار وطنك .

سيجفريد : لقد اتخذت هذا القرار يوم أن ولدت .

فونچلوا : لقد كان لك مولدان ياسيجفريد ..

سيجفريد : اذا تعدد الميلاد فالأول هو الأفضـــل كما هو الحال فى الموت .

فونچلوا : ان الوقت أزف يا سيجفريد . اننا نتحدث ونحن بين قطارين .

سيجفريد : هذا صحيح .. (يقترب فونچلوا مندفعا نحو سيجفريد) ماذا عندك يا عزيزى فونچلوا ؟

فونچلوا : عد معنا يا صديقى . أنت تتألم . صرت نحيفا . عد .

سيجفريد : نعم ، اننى صرت نحيفـا يا فونچلوا . ولكن بقدر فداحة الخسارة تأثرت من عظمة الهدية فى هذه الليالى الأخيرة . ان ناقها مثلى أحوج فى الواقع الى وطن صغير . يجب أن تقلب قوانين التوازن رأسا على عقب لئلا يحس بأى اضطراب ذلك الذى يقتطع فجأة من ألمانيا ليضـاف الى فرنسا . وأعترف لك انى فكرت بالأمس الأول أن أختفى ، أن أبحث عن مأوى فى بلد ثالث ، فى بلد أكون قد اخترته بقدر الامكان وليس له جيران ولا أعداء ولا يقيـم تماثيـل للموتى وبلا موتى . بلد بلا حرب ماضية ولا حـرب مستقبلة .. ولكن كلما دققت فى البحث عن هذا البلد عـلى الخريطة ، توطدت عـلى العكس العلاقات التى تربطنى بالأمم التى تتألم وتتعذب ورأيت بوضوح رسالتى .

فالنورف : ما هى هذه الرسالة ؟

سيجفريد : ببساطة رسالة الموظف . انى من بلد الموظفين : الخـدمة .

فالنورف : هذا شعار كل الذين يحبون الحكم . انهـم لا يحكمون جيدا الا فى ألمانيا .

سيجفريد : خدمة بلدى .

فالدورف : اذا كان الأمر بالنسبة لك يتعلق بالخدمة أيها الصديق ، فعد معنا . ففى ألمانيا وحدها تجود الخدمة . انها البلد الوحيد فى العالم الذى فيه مبادىء الطاعة والاحترام والنظام لا تزال تحتفظ بفتوة شبابها . كل غذاء للدولة يفيد ألمانيا كما يفيد الفسفاتين صبيا عملاقا . فبمجرد أن يفوه خادم الدولة بكلمة واحدة يتوقف تدفق أنهارنا شمالا وتتحول الى قنوات نافعة تتفرع فى جوانب البلاد ويتجه ستون مليون نسمة بأبصارهم الى الشرق أو الغرب .

واذا كنت تحب الثمار فلا تتركها وبخاصة لتخدم فرنسا .

سيجفريد : أمن الصعب خدمة فرنسا ؟

فونچلوا : مستحيل لمن يحب أن يشكل روح بلد ويصنع مستقبلها .

سيجفريد : لماذا يافونچلوا ؟

فونچلوا : ان ميزة فرنسا أن مصيرها محدد جدا بحيث لا يستطيع غير الخياليين أن يعتقدوا أن فى

مقدورهم أن يقودوها والمنافقون وحدهم هم الذين يحاولون اقناع شعبها بذلك . انها البلاد الوحيدة فى العالم التى يبدو أن مستقبلها دائما لا يتغير عن ماضيها . فان مفهوم نظمها وأنهارها وعنصرها قد اتضح منذ زمن بعيد حتى أن مبادى الحكم لم يعد يتلقاها الفرنسيون من أفواه رؤسائهم ولكن من أصوات داخلية كأوامر حقة . وماذا تستطيع أن تعمل فى بلد لم يعد يقبل الا تحسينات جزئية فى أنظمة الصحة والتدفئة المركزية أو فى القوانين ؟ ان أصحاب الحرف يخدمون فرنسا وكذلك كتابها ومهندسوها وفنانوها الذين يحفرون على الخشب والذين يصورون الصور الصغيرة لأنه لم يعد من الممكن خدمتها الا بتزيينها ولو على مقبرة مربعة .

سيجفريد : سأخدمها . فلدى ميول لفلاحة البساتين .

فالدورف : أهذه كلمتك الأخيرة ، يا صاحب السعادة ؟

سيجفريد : ان هذه آخر كلمة لى كصاحب سعادة .

(سكوت)

فالدورف : ليكن كذلك ، يا سيجفريد .. ينبغى أن نمتثل .

ولكن نظير ذلك ، نطلب منك تضحية .. أتسمح لى بالكلام ؟ (يشير سيجفريد بالموافقة) ها أنت ذا مستند الى حدود أخرى . ولكن الألمان يعتقدون أنك لا زلت فى وسط ألمانيا . ويخيل الينا أنه من الجرم أن نهدم عملك بأن نقول للشعب الذى وضع فيك ثقته ، انك لم تعد موجودا بالنسبة اليه وانك تركته .

سيجفريد : انى أفهم قصدكم . انكم تفضلون أن تقولوا له انى لم أعد على قيد الحياة .

قالدورف : ألن يكون من الأفيد والأجمل أن تختفى بالنسبة للشعب الألمانى كما ولدت له ؟ يكفى أن نشهد ، فونچلوا وأنا ، اننا رأيناك جريحا فى الليلة الماضية قريبا من الحى المحترق وواقعا فى اللهب.

سيجفريد : أهذا رأيك يا فونچلوا ؟

فونچلوا : نعم ، يا صاحب السعادة .

سيجفريد : ألا يدهش هذا أحدا ؟ أليس الدواء أقسى من الداء ؟

فونچلوا : كلا يا صاحب السعادة . صدق قالدورف يا صاحب السعادة ، انه محق . انى فقط أميل

لنوع آخر من الموت لا يربط اسمك بالسياسة كثيرا : غرق فى نهر أو بحيرة .

سيجفريد : أنتم كرماء يا أصدقائى . تعرضان علىّ موتا مجيدا . لدىّ الخيار . موت مصحوب بجائزة قلما تمنح للموتى ، الحياة .. انى لا أقبل . اقامة تمثال كامل فى ميونيخ لسيجفريد وعمود مكسور فى باريس لفورستييه . سأكون عديم النفع جدا بين هاتين الجثتين .

فونجلوا : أتفضل أن تعيش بين شبحين ؟

سيجفريد : سأعيش ببساطة . سيعيش سيجفريد وفورستييه جنبا الى جنب . سأحاول أن أحمل بشرفه الاسمين والمصيرين اللذين وهبهما لى القدر . ان الحياة الانسانية ليست دودة يكفى تقطيعها الى قسمين لكى يصبح كل قسم كيانا كاملا . انه لمن المبالغ فيه أن تحل الرذائل والفضائل معا فى نفس بشرية واحدة بينما كلمة « ألمانى » وكلمة « فرنسى » ترفضان أن تختلطا معا . انى أرفض أن أحفر أخدودا داخل نفسى . لن أعود الى فرنسا كآخر أسير أطلق سراحه من السجون

الألمانيـة ، ولكن كأول منتفع من علم جـديد أو قلب جـديد .. وداعا . يصـفر قطاركما . سيجفريد وفورستييه يقولان لكما وداعا .

ڤالدورف : وداعا يا سيجفريد . تتمنى لك حظا سـعيدا . ولكنه صعب علينا أن نرى هذا الذى كان يريد تحطيم ألمانيا وهذا الذى أنقذها يأخـذان نفس القطار ولا يفصـل بينهما الا يوم واحـد ، ويقصدان مأوى واحدا .

سيجفريد : انى أقل استحقاقا للشـفقة يا ڤالدورف فأرض المنفى هى وطنى .

فونچلوا : وداعا يا سيجفريد . أتمنى لك حظا سعيدا . فكر فى القناع الذى يضعه جميع الفرنسيين والذى يقيهم من استنشاق غازات أوروباالقاتلة ولكنه كثيرا ما يعوق التنفس ويحجب الرؤية .

سيجفريد : سأكون الفرنسى غير المقنع المنحدر من الألمانى فاقد الذاكرة .

(ينحنى الجنرالان ويخرجان)

المشهد الرابع

سيجفريد ـ موظف الجمرك

(يبقى سيجفريد وحيدا فيتقدم آليا نحو الجانب الفرنسى ويعبر الباب الصغير دون ان يشعر . عندئذ يناديه موظف الجمرك الجالس وراء طاقة)

بيترى : آه ، أنت الذى هناك !

سيجفريد : هل تنادينى ؟

بيترى : ماذا تعمل هنا ؟

سيجفريد : كيف ذلك ؟

بيترى : ماذا تعمل فى فرنسا ؟

سيجفريد : آه ! فى فرنسا ..

بيترى : أنت ترى جيدا الخط الأصفر الممتد تحت الباب، انه الحدود .

سيجفريد : أعبرته ؟

بيترى : نعم .. عد ثانية .

سيجفريد : انى فعلا سأدخل فرنسا ومعى جواز سفرى .

بيترى : يدخلون فرنسا فى السابعة وأربع وثلاثين دقيقة ، والآن الساعة السابعة وست عشرة دقيقة .

(عند خروجه من الباب ، يتلمس سيجفريد في حنو دفء الموقد . وبلهجة هادئة يقول بيترى)

آلتستدفىء أو لتدخل فرنسا كنت قد حضرت الى قاعتى ؟

سيجفريد : لمـاذا ؟

بيترى : يمكن أن تستدفىء من فوق الحاجز وسيان عندى أن تكون يداك فى فرنسا .

سيجفريد : شكرا (يدفىء سيجفريد يديه وهو ممتند على الحاجز ، وقد سحره المنظر الذى كان يشاهده فى صباه والذى يضيئه الفجر) . أهذه أول مدينة فرنسية تشاهد هنا ؟

بيترى : نعم انها القرية .

سيجفريد : أهى كبيرة ؟

بيترى : مثل كل القرى ، بها ٨٣١ نسمة .

سيجفريد : ما اسمها ؟

بيترى : مثل كل القرى « بلوتمينل سير أودينيه » .

سيجفريد : ما أجمل الكنيسة ! ما أجمل أشجار الأرز !

بيترى : بجوار القديسين ، تكثر الأشجار العديمة الفائدة ..

(يخرج بيترى)

المشهد الخامس

سيجفريد ـ چنفياف

سيجفريد : لماذا لحقت بى ؟

چنفياف : هل أخطأت ؟

سيجفريد : ان الذى تبحثين عنه ليس هنا ، يا چنفياف .

چنفياف : لا تصدق ذلك . انه هنا عندما أكون هنا .. تبدو مندهشا لأنك تجدنى اليوم قليلة الحزن بل أكاد أكون مسرورة .. والسبب انى أرى وأسمع هذا الكائن الذى تقول عنه أنه غير منظور وأبكم ..

سيجفريد : انى لا أفهمك .

چنفياف : لماذا هربت منى ، يا چاك ؟ لا تظن أنى أستطيع أن أدعك تعود الى فرنسا دون أن أرد اليك كل ما عندى لك من حصيلة ذكرياتك وعاداتك .
ان سيجفريد سليم . فلنهتم قليلا بفورستييه .
انه هو الذى يجب اعادة تكوينه الآن . ثق بى .

انى أعرف كل شيء عنك . كان چاك ثرثارا جدا .

سيجفريد : انك ستقدمين على عمل طويل جدا .

چنفياف : طويل جدا ؟ أمامنا عشر دقائق . وهى أكثر مما يلزم لكى أعيد اليك — وأنت على عتبة حياتك الجديدة — كل فضائلك الأصلية .

سيجفريد : والعيوب ؟

چنفياف : ستعود وحدها وبدونى . يكفى أن تعيش مع شخص كنت تحبه .. كلا ، انى لا أريد اذا استوقفك موظف جمرك فرنسى ، موظف جمرك فضولى يسألك عما اذا كنت شجاعا وعما اذا كنت مبذرا وعن ألوان الطعام التى تفضلها ، تتعذر عليك الاجابة . اقترب يا چاك . فسأحاول أن أحلك من كل تلك الأسرار التى لم تكن تفهمها . اقترب لا شيء قد تغير فى چاك . كل شعرة من هدبك لا تزال كما كانت على حافة أجفانك . كان بشفتيك فى ذلك الوقت — قبل أن تتذوقا جميع الآلام — هذا الانثناء الحلو المر الذى منحته لك كل الملذات . كل ما تظن أنه قد تخلف فيك من آثار التعاسة ، ربما كان من آثار

السرور . هذا الندب الذى تحمله على جبينك ، ليس من آثار الحرب ، بل تسبب عن سقوطك من على الدراجة فى جهة ما من الريف . وحتى حركاتك هى أقدم مما تعتقد . اذا كانت يداك ترتفع أحيانا الى عنقك فمرجع ذلك الى أنك كنت تلبس رباط عنق طويل ورفيع وتضطر فى كل لحظة الى شد ربطته . ولا تعتقد أن تغميض عينك يرجع الى آلامك وشكوكك . فقد اعتدت عليه بسبب لبسك نظارة لعين واحدة بالرغم من اعتراضى . لقد اشتريت لك رباط عنق بالأمس قبل مغادرة جوتا . ستضعه حول عنقك .

سيجفريد : موظف الجمرك ينظر الينا .

چنفياف : كنت جريئا وشجاعا ولكنك كنت تخاف دائما من موظفى الجمارك الذين ينظرون ومن الجيران الذين ينصتون . ليست ألمانيا هى التى جعلتك حريصا وحذرا الى هذا الحد . عندما كنت أسحبك فى قارب على « المارن » وكنا نسترسل فى الثرثرة ، كان يكفى رؤية قبعة صياد لتجعلك تجدف فى سكوت .

سيجفريد : أجدف ؟ أأعرف التجديف ؟

چنفياف : تعرف التجديف وتعرف السباحة وتغوص . رأيتك تغوص وتظل تحت الماء دقيقة كاملة . يا لطول ما انتظرت ! أنت ترى ، انى أعيد اليك الآن بعض المعلومات الجديدة عليك . ان جميع الأنهار التى سنقابلها فى الطريق ، ستجد معها أمك القديم . لقد شاهدت البحر معك للمرة الأولى . أرأيته ثانية ؟

سيجفريد : لا .

چنفياف : والجبال ! لا يمكنك أن تتصور كم كنت تتسلقها بسهولة . وعلى كل صخرة ، كنت تضع عنى حملا أو ثوبا وكنت تصل الى قمتها وقد حملت حقائب يد ومظلات بل وحملتنى أنا أيضا شبه عارية .

(سكوت)

سيجفريد : أين قابلتك ؟

چنفياف : عند ركن شارع بالقرب من نهر .

سيجفريد : لا شك أن السماء كانت تمطر هناك ؟ أعزمت عليك بمظلة تقيك من المطر ، كما يفعلون فى باريس ؟

چنفياف : كان الطقس جميلا . كانت الشمس رائعة . ربما ظننت اننى فى حاجة الى حماية من تلك السماء القاسية ، وتلك الأشعة وذلك الجمال . وقبلتك كرفيق . كنا نسير على ضفاف السين . فى كل لحظة فى هذا اليوم ، عرفتك كما تعرف نفسك اليوم . كنت أعرف فى المساء من هم موسيقيوك ونبيذك وكتابك ومن أحببت من قبل. وسأحدثك فى ذلك أيضا ، اذا رغبت . وفى الغد ، قمنا بنزهة أخرى ، تكاد تكون مماثلة ، ولكن فى سيارتك . كنت أستعد لتكرار هـذه النزهة طوال حياتى ، بسرعة تزيد كل يوم عشرة أضعاف .

سيجفريد : سيارتى ؟ أأعرف القيادة ؟

چنفياف : تعرف القيادة وتعرف الرقص . أى شىء لا تعرفه؟ تعرف كيف تكون سعيدا .

(سكوت)

سيجفريد : أكنت أحبك ؟

چنفياف : أنت وحدك عرفت ذلك وقد انتظرت عودتك لأعرفه أنا أيضا .

(فترة سكوت)

سيجفريد : أكنا فقط مخطوبين ، يا چنفياف ؟

چنفياف : كلا ، عاشقين . (ينهض من مكانه) كنت تعرف كيف تكون قاسيا وخداعا . وكيف تكذب . وكيف تخمد يوم أمل بكلمة واحدة . وأظن أنه ليس فى كل هذا ما يعتبر مواهب فذة بالنسبة للرجل . بل انك لتعرف أيضا كيف تحمل ذاكرتك على النسيان .. وتعرف أيضا الغدر .

(يتجه نحوها)

سيجفريد : وهل أعرف كيف آخذك هكذا ؟

چنفياف : موظف الجمرك ينصت الينا . شد رباط عنقك ..

سيجفريد : أكنت أعرف كيف أحتضنك بين ذراعى ؟

چنفياف : آه ! يا چاك ! فى بلاد الحب أو الصداقة وذلك التوثب الذى تحس به نحو المستقبل ، ستجد الماضى الحقيقى . تعال نحو هذا الوطن دون شرط أو تردد .

سيجفريد : أكنت أعجبك وأناغيك ؟

چنفياف : كنت تحدثنى عن ماضىّ . وكنت غيورا منه . لم تكن تصدقنى . كنت فورستييه ذلك الوقت.

(سكوت)

سيجفريد : (وهو ما زال ممسكا بچنفياف) من أنت يا چنفياف ؟

چنفياف : ماذا تقول يا چاك ؟

سيجفريد : من أنت ؟ .. لماذا تبتسمين ؟

چنفياف : أبتسم ؟

سيجفريد : لماذا هذه الدموع ؟

چنفياف : لأن چاك سيعود . انى متأكدة من ذلك الآن . من أنا ؟ لقد أخلى شيطانك طريقه لغيره ؟ .. لقد أنقذت .. أتسأل عن الماضى ؟

آه ! لا تعد الى البحث عن ماضينا القديم نحن الاثنين . أليس لدينا ماض حديث ؟ لا يبلغ الا ثلاثة أيام ، ما أسعد أصحاب الماضى الجديد جدا ! .. أتتذكر فى مدخل قصرك عندما تقدمت نحوى ضاربا كعبيك ببعضهما لتقدم نفسك ؟ كنت قد أخرجت من جيبك الصغير منديلا جميلا سمنى وأخضر اللون لارضاء هذه الكندية . أتريد أن تزعم أنك نسيت كل ذلك ؟

سيجفريد : كلا ، انى أتذكر .

چنفياف : أتتذكر درسنا وقسوتك بخصوص الجليد

وتهكمك اللاذع بخصوص ثوبى الريفى ؟

سيجفريد : أذكر ذلك . كنت قد وضعت عيونا جميلة خضراء وقلنسوة جميلة حمراء لارضاء ذاك الألمانى .

چنڤياف : أكنت أعجبه ؟

سيجفريد : أتتذكرين عودتى المفاجئة قبل الثورة ووداعنا والمظلة التى عدت لأبحث عنها لتقينى من القلق واليأس ؟ كم أمطرت السماء يا چنيڤاف !

(يدق الجرس) ها هو القطار . فلنسر .. مرى أنت أولا يا چنڤياف .

چنڤياف : لم يحن بعد الوقت ..

سيجفريد : ولكن هذه هى الاشارة الألمانية لاغلاق الأبواب!

چنڤياف : انها الاشـــارة الفرنسيه لربط دميـــة الحصان الأبيض فى لوح الحديد الدائر . أريد أن أقول لك كلمة .

سيجفريد : ستقولينها لى هناك ..

چنڤياف : كلا . ينبغى أن أقولها لك فى هذا الجانب من الخط المثالى ..

أتتذكر ، أنت الذى تتذكر كل شىء ؛ انتى لم أناديك قط باسمك الألمانى ؟

سيجفريد : اسمى الألمانى ؟

چنفياف : نعم . لقد أقسمت ألا ألفظه أبدا . ولن أتفوه به ولو عذبت ..

سيجفريد : كنت مخطئة . انه اسم جميل . وحينئذ ؟

چنفياف : حينئذ ؟ اقترب .. اترك هذا الباب ..

سيجفريد : هأنذا ..

چنفياف : أتسمعنى يا چاك ؟

سيجفريد : يسمعك چاك .

چنفياف : سيجفريد ! سيجفريد !

سيجفريد : لماذا سيجفريد ؟

چنفياف : سيجفريد ! أحبك !

يسدل الستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٣٦ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	انطون تشيكوف
٢	اعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندرمير	أوسكار وايلد
٥	بيلونى	سمرست موم
٦	الغريبان	هنرى بك
٧	اليكترا	جان جيرودو
٨	توركاريه	ا . ر . لوساج
٩	الدائرة	سمرست موم
١٠	شارلتون	الفرد ديفيس
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة القادرة	جون جالزورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفيه
٢٠	كنوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شين اوكاسى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا البا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن براسون
٢٧	نورة الوتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	جيمس باري
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	أوسكار وايلد
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت بريشت
٣١	مسرل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢	الفيثارة الحديدية	جوزيف اوكونور
٣٣	أفكار سيبانية	نويل كوارد
٣٤	روحة مستر تانكرى الثانية	آرثر ونج جيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الوتى	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج مؤسسة الخانجى بالقاهرة
ويطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى ، القاهرة ،
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار القلم الملايين ببيروت .